الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# الغربة في الرواية الجزائرية

## عابر سرير لأحلام مستغانمي (نموذجا)

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها

الأدب العربي ونقده

من إعداد الطالبين:

سليماني جهاد

صواندي حنان

تحت إشراف الأستاذ:

بن الشيخ عباس

السنة الجامعية : (1434هـ/2013م)

قال الإمام علي (كرم الله وجهه)

الفقر في الوطن غربة

والغنى في الغربة وطن

# شكر و عرفان

قال تعالى : "ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي

وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه".

الحمد لله واسع العطاء الذي هدانا لهدا ، وما كنا لنهتدي لولاه

والصلاة والسلام على من لا نبيا بعده محمد بن عبد الله (ص) القائل

{ من لا يشكر الناس لم يشكر الله }

وفي هدا لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الذي شرفنا

بإشرافه لنا "بن الشيخ عباس" الذي كان له الفضل بعد الله عز وجل

في إنجاز هدا العمل ، حيث كان بمثابة الأب الكريم ،والأخ الحليم

حيث لم يبخل علينا بعلمه ولا بجهده في سبيل ما توصلنا إليه

راجينا من الله العلي العظيم أن يجازيه خير جزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى كافة أسرة القسم من أساتذة وإداريين

# مقدمة

تعد قضية أو إشكالية الاغتراب إحدى الروافد الهامة للفكر الإنساني باعتبارها إحدى مكونات الواقع الاجتماعي والنفسي والاقتصادي للفرد والمجتمع على السواء باعتبارها أيضا قضية لا يخلو منها أي عمل فني أو أدبي يعبر عن الإنسان المعاصر وإحساسه بالتمزق والضياع خاصة إذا كان بعيدا عن موطنه الأصلي أو كان هاربا من واقعه زاهدا فيه.

وبالنسبة لبحثنا هذا فقد حاولنا دراسة هذه الإشكالية في الأدب الجزائري وفي الرواية خاصة فكان البحث تحت عنوان الاغتراب في الرواية الجزائرية أما اختيارنا لهذا الموضوع فيرجع لأسباب:

- تأثرنا بالموضوع لإحساسنا بالغربة خصوصا بعد ابتعادنا عن ذوينا طيلة فترة دراستنا الجامعية.
- أهمية الموضوع في حياتنا المعاصرة فالإنسان المعاصر عموما والإنسان العربي خصوصا يعيش حالة اغتراب بأشكاله المختلفة.
- جدة تناول الموضوع في الأدب الجزائري وعلى وجه الخصوص في الرواية الجزائرية فالدراسات السابقة لها لم تتناول الاغتراب كموضوع خاص وبالتالي فهي لم تكن كافية وشاملة بالوجه الكامل الذي يعطي لهذا الموضوع قدره وقيمته الحق.

كما اخترنا الأستاذ المشرف لما لمسناه من روح الاجتهاد في شخصه الكريم.

وأخيرا ما دعم اختيارنا لموضوع البحث ما وجدناه فيه من الإفادة والإمتاع بالقدر الكبير وبتوجيه من أستاذنا الفاضل وصلنا إلى هذه النتيجة.

ومما هو معروف لا يكاد يخلو أي بحث من صعوبات وعقبات قد تعرقل العمل أحيانا وقد تنشطه أحيانا أخرى تمثلت بالنسبة لبحثنا في:

- صعوبة الحصول على المصادر والمراجع خصوصا لاتساع الموضوع وماله من علاقة بالعلوم الأخرى: علم النفس،علم الاجتماع، علم الاقتصاد وبالتالي اتساع نطاق البحث هذا من جهة، ومن جهة أخرى قلة المصادر والمراجع الخاصة بالمبحث الثالث الخاص بالاغتراب في الرواية الجزائرية.

- صعوبة الدراسة في الجانب التطبيقي .
- ضيق الوقت وصعوبة العام الدراسي.

ولكن رغم هذه الصعوبات إلا أنها كانت حافزا من رغبتنا في مواصلة البحث وزادنا تأثرا وانفعالا في الموضوع.

أما عن تقسيماتنا للبحث فرأينا أن نقسمه إلى ثلاث مباحث مبحثين نظريين والأخر تطبيقي إضافة إلى بعض الملاحظات التي لم نستطع تجاوزها

- **المقدمة:** تناولنا فيها أسباب الاختيار والعقبات التي واجهتنا وتقسيمات البحث.
- **المبحث التمهيدي:** تناولنا فيه مفهوم الغربة لغة واصطلاحا.
- **المبحث الأول:** تناولنا فيه نشأة الغربة،أنواعها،نظرياتها وأبعادها.
- **المبحث الثاني:**(الدراسة التطبيقية لرواية عابر سرير للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي)
- إضافة إلى بعض الملاحظات التي لم نستطع تجاوزها.
- **الخاتمة:** تناولنا فيها أهم النتائج التي تم استنتاجها من موضوع البحث.

أما عن المنهج الذي اتبعناه في المبحثين النظريين الأول والثاني هو المنهج التاريخي اعتمدنا فيه أراء تاريخية مقررة.

وفي البحث الثالث اعتمدنا المنهج الوصفي والتحليلي وكذا المنهج النفسي من خلال تحليلينا للأحداث والشخصيات ودراسة الجانب النفسي لها.

وهكذا نكون قد أنجزنا بحثنا المتواضع بكثير من العمل والصبر، ونرجو أن نكون قد استفدنا منه وأفدنا كما نرجو أن يلقي القبول من أساتذتنا الكرام.

## المبحث التمهيدي: مفهوم الغربة لغة واصطلاحا

لا شيء يؤثر في النفس، ويعكر صفوفها، ويهز كيانها أكثر من شعور الغربة، التي فيها كثير من الضياع والتشتت وفقدان التوازن ولاسيما على المستويين النفسي (الذاتي) والاجتماعي.

### المطلب الأول: الغربة في التناول اللغوي

لو بحثنا عن مصطلح الغربة في معاجم اللغة العربية لوجدناه بمعنى النزوح عن الوطن فبأخذ بذلك مفهوم الاغتراب والذي معناه يشير إلى أكثر من دلالة. فابن منظور في "لسان العرب" يشير إلى مفهوم الغربة بقوله:« **يقال الغُرْبَةُ والغَرْبُ أي النُّزُوحُ عَنِ الوَطَنْ والاغْتِرَابِ ويقال أَغْرَبْتُهُ وَغَرَّبْتُهُ إِذَا نَحَّيْتُهُ وَأَبْعَدْتُهُ والتَّغْرِيبُ، البُعْدُ وَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ إِنَّ إِمْرَتِي لاَ تُرِيدُ لَمْسِي، فَقَالَ: غَرِّبْهَا أَيْ أَبْعِدْهَا، وَيرِيدُ الطَّلاَقْ**»[1] .

وقال الجوهري في كتابه الصحاح فيقول:« غَ رِ بَ الْغُرْبَةُ وَالِاغْتِرَابُ. تقول : تَغَرَّبَ أو اِغْتَرَبَ المعني فهو (**غَرِيبٌ** )و( **غُرُبُ**) بصمتين والجمع (**الْغُرَبَاءُ**)، أيضا أَبَاعَدَ واغْتَرَبَ فلان، إن تزوج إلى غير أقاربه وفي الحديث: " اغْتَرِبُوا لاَ تَضَؤُوا " والتَّغْرِيبُ النفي عن البلد أو أَغْرَبَ الرجل أي جاء بالشيء الغَرِيبُ وأَغْرَبَ أيضا أي صار غَرِيبًا»[2].

لكن الزمخشري يعرفها بقوله: «غَرَّبَهُ، أَبْعَدَهُ وَغُرِّبَ: بُعِد»[3].

أما مؤنس رشاد الدين فيذكرها بقوله: « غَرَبَ غُرْبَةً وغَرْبًا وغَرَابَةً: نزح عن وطنه، غَرَّبَ: (تَغْرِيبًا) بَعَّدَ، هَاجَرَ عن وطنه، حُمِلَ الشَّخْصُ عَنِ الغُرْبَةِ فِي الأَرْضِ أَمْعَنَ سَيْراً فِيهَا»[4].

«وفي المقابل للكلمة العربية "اغترب" أو "غربة" هو الكلمة الإنجليزية ALTENATION والكلمة الفرنسية ALTENATION وفي الألمانية ENTFREMDUNG.

وقد اشتقت كل من الكلمة الإنجليزية والفرنسية في أصلها من الكلمة اللاتينية ALTENATIO وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني ALTENARE والذي يعني نقل ملكية الشيء إلى آخر، أو

---

[1]: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، ص977.

[2]: محمد بن بكر بن ع.القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان دار النشر، (د،ط)، ص197 .

[3]: الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط1، ص477.

[4]: مؤنس رشاد الدين، المرام في الكلام والمعاني، ص607.

يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي ALTENUE أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به، وهذه الأخيرة مستمدة من اللفظة ALTUS الذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر أو يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي ALIENUS أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة من اللفظ ALIUS الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة.

ومن هذا ومن ذاك نجد أن معاجم اللغة العربية، وعلى اختلافها تجمع على أن كلمة غربة أو اغتراب تعني النزوح عن الوطن والبعد عنه، أو الانفصال عن الآخر »[1].

**المطلب الثاني: الغربة في التناول الاصطلاحي**

إنه لمن الصعب إيجاد مفهوم واضح و محدد لمصطلح الغربة ولعل هذا راجع لكثرة الجوانب التي يستعمل فيها، أو لتعدد الآراء حوله، وفيما يلي سنحاول التطرق لهذا التعدد والتنوع لعلنا نصل إلى إيجاد مفهوم للغربة ولو بشكل مبسط.

**أ.مفهوم الاغتراب في الفكر الإسلامي:**

«إن فهم الاغتراب في الفكر العربي الإسلامي لم يتضح إلا بدراسته مقرونا بالسياق الحضاري الشامل للعقيدة والسياسة والثقافة والاجتماع مع العلم أن هذا السياق ينعدم إذا لم تتوفر له أبعاده ومثيراته، كالخوف والقلق والحرمان، والاستبداد، أو العجز عن التلاؤم مع المحيط الواقعي»[2]، ونقف عند لفظ المحيط الواقعي لنؤكد علاقة الاغتراب بمسيرة الإنسان منذ القديم، هذه المسيرة التي ربطها عقد متين يتبين من خلال تكريم الله للإنسان عندما حوى ثنائية التكريم: الروح والمادة. « ...فكلما وقع خلل ما في هذا العقد برزت إلى السطح أمراض تؤدي إلى التفسخ والتحلل والانفصال، ويترجم كل ذلك إلى أحاسيس، و رؤى تتكون داخل المحيط الواقعي، وتتراوح في تكوينها أو بين الرضا والاغتراب ويمكن أن نلمس تلك القاعدة في الاغتراب الحاصل بين الشعراء والصعاليك والبنية القبلية في الواقع الجاهلي، هذا الواقع الذي يتوفر فيه الحرمان والاستبداد والتمايز الطبقي فكان الاغتراب عنه ولكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم نلمس عكس ذلك وهذا بفضل الإسلام الذي جعل

[1]: عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 14.

[2]: ينظر عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، 1945-1962، منشورات جامعية باتنة، د ط، د ت، ص15.

العدل محل الاستبداد فسادت الأخوة الإسلامية، وبذلك زال الاغتراب الاجتماعي الذي كان سائدا لدى العرب، وحل محله الاغتراب المكاني حين هاجر المؤمنون فرارا بدينهم من بطش قريش، أو نشرا لدينهم بعد ذلك...»[1].

ويمضي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وزمن الخلفاء الراشدين، ويجيء العصر الأموي فتعود بوادر الاغتراب السياسي والاجتماعي، ويمكن اعتبار أهل الحجاز نموذجا لذلك حيث وقعت الاضطرابات بين بني أمية والبيت العلوي وتعرض أهل البيت للاضطهاد، والتشرد والتقتيل،كل ذلك أدخل الرعب في قلوب المسلمين وقضى على الشعور بالأمان وحرك في الناس النزوع نحو الاغتراب والترحل فلم يكد يمضي قرن من الزمان على الإسلام حتى وصف المسلمون بالغربة.

وإذا كنا قد سمعنا في العصر الأموي بمن وصف بالاغتراب، فإن العصر العباسي قد وجدنا من يؤلف فيه كتبا كثيرة، «ففي هذا العصر بدأ الناس يبتعدون عن العقيدة الإسلامية وصار الحكام يزاولون سياسة بعيدة عن نهج الإسلام بعد أن زال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة فعدوا قلة اللامبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التميز بين الحلال والحرام وأدنوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركنوا إلى إتباع الشهوات...»[2].

ونتيجة لهذه السمات بدأنا نقرأ للاغتراب فوجدنا أبي حيان التوحيدي في كتابه "الإشارات الإلهية" يقدم له تعريفا شاملا وواسعا حيث يقول: « ... فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبه وسكنه، وأين أنت من غريب لا سبيل له إلا الأوطان، ولا طاقة له على الاستيطان ؟ ... إن نطق نطق حزنا منقطعا وإن سكت سكت حيران مرتعدا، وإن قرب قرب خاضعا، وإن بعد بعد خائفا، وإن ظهر ظهر دليلا، وإن توارى توارى عليلا...»[3].

فلو حللنا هذا القول لوجدنا الاغتراب بمفهوميه المادي والمعنوي، فقوله: « فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه...» يرمز إلى الاغتراب الروحي والفكري في وطنه حين

[1]: ينظر عمر بوقرورة، الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص7

[2]: المرجع نفسه، ص8.

[3]: ينظر عمر بوقرورة ، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث1945-1962، المرجع ، ص16.

ساده الكبت والرعب والقهر السياسي، وكذا فساد الواقع من قوله.

وفي الفقرة الثانية قوله: «وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الإستطان ..." وهو مفهوم آخر للاغتراب يتمثل في الارتحال عن الوطن والبعد عن الأسباب السياسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، وقد تكون ترفيهية، كأن يسيح الإنسان في الأرض باحثا متجولا »[1] .

ويصل اكتمال المفهوم عند أبي حيان التوحيدي في قوله: «أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، أو أبعد الغرباء من كان بعيدا عن محل قربه...الغريب إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زجر، الغريب من إذا أسند كذب، إذا تظاهر عذب... الغريب من إذا قال لم يسمعوا قول وإذا رأوه لم يدوروا حوله ... والغريب من تهالك في ذكر الله متوكلا عليه، بل الغريب من توجه إلى الله خاليا لكل من سواه....» .

إن المقولة السابقة تحدد نوعا آخر من الاغتراب يعانيه المثقف، بخاصة في مجتمعنا العربي الإسلامي بكثرة وهو اغتراب الروح والفكر.

أو الاغتراب عدم التلاؤم مع المحيط المادي فليس المهم أن يغترب الإنسان عن وطنه مدفوعا بدوافع سياسية أو اجتماعية مؤقتة لكن، الأخطر من ذلك أن يعيش غريبا في وطنه يكابد ويعاني دون أن يكون له رأي مسموع أو طلب مجاب، أو اطمئنان إلى النظم الآمرة.

وقد وجدنا كذلك أهل الصوفية الذين يرون بأن الغربة تعني الإنفراد والإنفراد إما بالجسم وإما بالقصد، والحال، وإما هما، كأن الغريب غريب جسم، أو غريب قلب وإرادة حال أو غريب بالاعتبارين وهي ثلاث درجات.

**الدرجة الأولى**: الغربة عن الأوطان، الإنفراد بالجسم وهو الغربة عن الأوطان.

**الدرجة الثانية**: غربة الحال، وغربة الحال هي غربة الغرباء الذين طوبى لهم، وهو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين.

[1]: ينظر: الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص11،7،8،9،10.

**الدرجة الثالثة:** غربة الهمة:« وهي غربة طلب الحق وهي غربة العارف لأن العارف في شاهده غريب »[1].

كما تطرق ابن القيم الجوزية وهو من أهل الصوفية في مفهوم الغربة وذلك من خلال تعداده إلى ثلاثة أنواع لها وهي:

**1.غربة أهل الله وأهل سنة رسوله** (صلى الله عليه وسلم) : بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخبر عن الذي جاء به: أنه "**بدأ غريبا**" وأنه "**سيعود غريبا**" وأن "**أهله يصيرون غرباء**" وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقا، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

**2.غربة مذمومة:** وهي غربة أهل الباطل، وأهل الفجور بين أهل الحق فهي غربة بين حزب الله المفلحين وإن كثر أهلها فهم غرباء على كثرة أصحابهم وأشياعهم، أهل وحشة على كثرة مؤنسهم، يعرفون في أهل الأرض ويخفون على أهل السماء.

**3.غربة مشتركة لا تعدوا ولا تدم:** وهي الغربة عن الوطن فإن الناس كلهم في هذه الدار غرباء فإنها ليست لهم بدار مقام ولا هي الدار التي حلقوا لها وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس**».

**ب.مفهوم الاغتراب عند علماء العرب:** لقد راج مصطلح الغربة بين علماء ومفكري العرب منذ زمن بعيد، إلا أن هذا المصطلح لم يصل إلى قدر كبير من الاكتمال ذلك أنه كان مرتبط بكثير من المعاني وهي في مجملها لا تكاد تخرج عن المعنى المكاني للمصطلح، وقد ذكرت المصادر العربية أن الإنسان الجاهلي ربط بين الغربة وكثير من المعاني التي تتعلق بها فيذكر الجاحظ كلاما كثيرا عن تشاؤمهم بالغراب فيقول:ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب ويعلل الجاحظ لهذا الالتحام بين لفظي الغربة والغراب.

[1]: ينظر محمد إبراهيم الفيومي، ابن باحة وفلسفة الاغتراب، دار الجيل بيروت، د ط، ص58،5،9،60.

فيقول: «أنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنعجة وقع في مرابض بيوتهم يتلمس ويتقمم فيتشاءمون ويتطيرون منه، إذا كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين».

من خلال هذا نلاحظ أنه مصطلح يفيد معنى البعد عن الوطن وفراق الأهل، وتأتي إلى العصر الحديث فنجد مفهوما أكثر وضوحا وعمقا لمصطلح الغربة. « ... وهو أمر راجع أولا وقبل كل شيء لطبيعة العصر الحالي والذي يعتبر المتهم الأول لتكريس الاغتراب كظاهرة إنسانية، وثانيا إلى ذلك الاحتكاك الحاصل بين العرب والغرب ولاسيما في المجال الأدبي، وبما أن الغرب كان سباقا إلى تناول ظاهرة الاغتراب فقد أخذ عنهم العرب ذلك، وتجلى في كتاباتهم الكثيرة والمختلفة والتي تبرز مواقفهم وآراءهم من مفهوم الاغتراب... »[1] .

يرى أشرف علي الدعدور بأن الغربة هي البعد عن الوطن وأن الغريب هو المبعد عن وطنه لأسباب سياسية بشكل عام وكذلك من معاينها النفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها.

و قد ميز بين نوعين من الغربة وهما: غربة مكانية وزمنية.

فالمكانية يقصد بها ذلك المعنى المباشر والمطلق لاستخدام الكلمة وهو ذلك الإحساس الذي يكسو به الإنسان في بعده عن وطنه.

و الرمانية هي تلك الحالة النفسية التي تصيب الإنسان داخل وطنه في مرحلة زمنية غير مواتية تجعله يسو بالغرب بين أهله وذويه.

أما مفيد قميحة فيعرف الغربة بأنها: « انسلاخ هذا الواقع وكأنه كائن متجمد يتخبط في أوحال تلتصق بها الأقدام، فلا تستطيع تجاوزها والخلاص منها»[2] .

وفي ذلك فرق قميحة بين الغربتين السلبية والإيجابية فتتمثل في: « ... السلبية في إبعاد صاحبها عن المشاركة في تحمل المسؤولية وأعباء الحياة، كما تجعله عديم التأثير في الغير، هذا التأثير الذي يفرضه التطلع الواعي نحو المستقبل ونحو مجابهة العوائق من أي مصدر أتت.

[1]: ينظر: عمر بوقرورة،الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص14.

[2]: أشرف علي الدعدور، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ص20-22.

فأما الإيجابية هي التقاط وكشف للنشاطات الإنسانية الجوهرية وتمزيق للبراقع المهلهلة، فالفحص والتحليل والملاحظة الدقيقة هي التي تفيد عملية الخلق اللاشعوري... »[1].

**أ.مفهوم الغربة في الفكر الغربي:** لقد كان اهتمام الغرب بظاهرة الاغتراب مبكرا، وهو يكشف عنه مضمون الأدب الإغريقي حيث كان في معظمه يدور حول مشكلة التجربة الروحية واغترابها وكذلك مشكلة الحياة والموت التي تمثل مأساة الإنسان وتشكل نسيج اغترابه في هذا الوجود وقد صور هذا الموقف في إحدى ثلاثية الفرس.

وفي ذلك كان انطلاق من الأسس الغيبية والروحية ولكن مع مرور الزمن وتعقد هذه الظاهرة أصبح الاعتماد أكثر على الأسس الثقافية والاجتماعية في تحليلها.

**1.مفهوم الغربة عند هيجل:** يعتبر أول مفكر يستخدم مصطلح الاغتراب على نحو منهجي، ويصل به إلى ازدواجية دلالة المصطلح فهو يرى فيه المعنى الإيجابي الذي يتمثل في تخارج الروح وتحليها على نحو إبداعي، كما يرى فيه المعنى السلبي الذي يتمثل في عدم قدرة ذات التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات.

**2.مفهوم الغربة عند كارل ماكس:** هي شعور الإنسان بالانفصال عما صنعت يداه، فالإنسان في سعيه للسيطرة على الطبيعة أنتج سلعا ومؤسسات اغترب عنها وكأنها لم يكن مصدرها، وأخذ يترضاها أيضا، ويخدمها كالرقيق.

وكل هذه الألوان من الغربة ليست أوجها متباينة لابتعاد الإنسان عن جوهره وطبيعته والإنسان المغترب ليس في الحقيقة إنسانا لأنه لا يعرف نفسه ولم يعرف تاريخه وإمكانيته، والإنسان الغير المغترب هو الإنسان الحقيقي وهو سيد مصيره وما ينتجه وهو الذي يحقق لنفسه الحرية.

**3.مفهوم الغربة عند ولمان:** جاء في قاموس العلوم السلوكية بأن ولمان عرف الاغتراب بأنه تدمير وانهيار العلاقات الوثيقة وتمزيق مشاعر الانتماء للجماعة الكبيرة، كما فيه تعميق الفجوة بين الأجيال وزيادة الهوة الفاصلة بين الجماعات الاجتماعية عن بعضها البعض.

[1]: مفيد قميحة، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر،دار الآفاق بيروت،ط1 1981،ص39.

**4.مفهوم الغربة عند كينتسون:** يرى بأنه هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية تؤدي إلى الاغتراب، «ويرى الأسباب الذاتية إلى العوامل النفسية الديناميكية التي تحدث في نمو الفرد، أما الأسباب الموضوعية فهي الظروف المحيطة للفرد وما يكونها من عوامل حضارية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية»[1] .

**5.مفهوم الغربة عند دوركايم:** « هو تفكك القيم الاجتماعية بحيث لا تمكن من السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه، وخاصة بالنسبة للإنسان المعاصر»[2] .

أما **كولون ولسن:** « فقد فرق بين غربة الرومانسيين وغربة الواقعيين فرأى أن الأولى يكون فيها الغريب متعلق بأمل كبير في إيجاد الحقيقة رغم الشك في العثور عليها وأما الثانية فيكون فيها الغريب غير مؤمن بوجود الحقيقة إطلاقا قابل لا يفهم ما يعنيه الناس بالحقيقة فالعالم معقد للحقيقة، إنه عالم زائف قائم على اللامعقول والفوضى وهذان وحدهما في نظره هما الحقيقة»[3].

ومن خلال هذه التعارف اللغوية والاصطلاحية لظاهرة الغربة أو الاغتراب نرى أن معظم الذين غمسوا أقلامهم في بحث مشكلة الاغتراب أشاروا أن هذه الظاهرة هي سمة من سمات عصرنا وأنها تشكل بالفعل أزمة الإنسان المعاصر رغم وجودها كظاهرة واضحة في زمن ماضي منذ العصر الجاهلي.

«...وأولى مظاهر الاغتراب تجلت في الاغتراب عن الوطن بحثا عن الرزق ولقمة العيش وبعد ذلك تجلت في طغيان القيم الفاسدة والعادات الشاذة الغريبة عن القيم النبيلة...»[4] .

« والغربة بصفة عامة هي حالة نفسية ووجدانية نابجة من اتخاذ صاحبها موقفا من الحياة والواقع لشعوره بأنه لا يحصى بالرعاية المساندة له في أن يحقق أحلامه في وطنه»[5].

**إعداد الطالبة: حنـان.**

[1]: صابر نور الدين، الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية.
http//:www.awu-dam.org/mokfu425-005htm...2008.
[2]: المقال السابق.
[3]: محمد زكي العشماوي، دراسات النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1990، ص52،53.
[4]: جريدة العروبة، بقلم نجاح حلاس، حمص 2011/02/15 يوم 2013/04/16سا 17:00.
[5]: صابر نور الدين ، المقال السابق.

## المبحث الأول: نشأته،أنواعها،نظرياتها وأبعادها

### المطلب الأول: نشأة الغربة

الاغتراب مصطلح قديم شديد العمق ضارب الجذور إلى فجر البشرية جمعاء، حيث ارتبط بوجود الإنسان على وجه البسيطة، إذ نزل إليها مغتربا بعدما انفصل عن وطنه الأول "الفردوس" وعن العناية الإلهية التي كان يحظى بها قبل عصيان أمر ربه وهو اغتراب مرتبط بالخطيئة، وهي إرادة ربانية شاءت أن تجعل حقيقة الوجود الإنساني وجودا مغتربا بالقدرة الإلهية قبل الضرورة الفلسفية أو النفسية.

إن هذا الوجود المغترب يفصح عن نفسه كل لحظة من لحظات الوجود، ويتمثل ذلك في ميلاد كل طفل عندما ينفصل عن رحم أمه بعد أن عمره فكان وطنا له وهو تعبير رمزي عن اغتراب "آدم" عليه السلام[1] عن الفردوس وعن العناية الإلهية وهو يترك الراحة والنعيم، ويغترب عنها، فكل مولود جديد يكرر مجبرا تلك الحالة الأولى التي عاناها آدم عليه السلام، وهو أمر يستقيم مع ذكر الله تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في كبد».[2]

«وقد كان لارتباط الاغتراب بالخطيئة مادة خصبة للقصص والأساطير إذ بدت هذه الخطيئة وكأنها سعي إنساني سابح إلى المعرفة التي انتهت بالاغتراب، وكأن المعرفة الإنسانية محكومة بالتعثر والمحدودية».[3]

لذلك نجد أن هذا المصطلح حين تداول في البيئة الإسلامية اتخذ دلالة الاستعلاء والسمو الروحي، ومع امتزاج العناصر غير العربية بالبيئة الإسلامية كثر مصطلح الاغتراب في مختلف ألوان المعرفة دالا على صراع العربي المسلم للثقافات الدخيلة والمجتمع الجديد، وشعوره بالحيرة وانفصام الهوية.[4]

---

[1]: ينظر: عبد اللطيف خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص19.

[2]: سورة البلد الآية رقم 04.

[3]: كاميليا عبد الفتاح، دراسات تحليلية لظاهرة الاغتراب "أبوا لعلاء المعري"، دار المطبوعات الجامعية، 2008، ص06.

[4]. المرجع نفسه، ص06.

وفي العصر الحديث لاقى الاغتراب مزيدا من الاهتمام والدرس حيث تعقدت الحياة الإنسانية وتشابكت قضايا الإنسان مع الوجود، ومن ثم أزداد الوعي بكامل هذا الإنسان.

قد كان الاهتمام بظاهرة الاغتراب في المجتمع الغربي مبكرا خاصة عند الفلاسفة، ومن هؤلاء هيجل الذي يعتبر "أبو الاغتراب" ذلك لأنه أول من تطرق له بالدراسة والتحليل في كتابه "ظاهريات الروح" عام 1807 حيث عبر عن اغتراب الروح الإنسانية تحت وطأة الحضارة، وقد أشار إلى أن الروح في فترة ما من تاريخها تنشق إلى مجالين أولهما مجال العالم الواقعيين "مجال غرب الذات" والآخر هو مجال الوعي الذي هو في رأي هيجل الوجه الآخر لنفس الغربة أي أن الوعي بالذات يدمر ويقدم الشخصية، وهذا يدل على أن الأصل التاريخي الأول للكلمة فلسفي.[1]

أما فيورباخ فقد بين أن الله الذي هو القوة التي تسيطر على الإنسان ما هي إلا نتاج توهمات وتخيلات، «إن الإنسان هو الذي يغرب نفسه في عالم وهمي خرافي، عالم الجنة والنار والسعادة الأبدية ... متناسيا معاناته للاضطهاد في العالم الوضعي عالم الملموس والمحسوس وعالم المجتمع والدولة... أي أن فيورباخ ينطلق من الظروف السيئة التي كانت سائدة في تلك الفترة عندما كانت الكنيسة تمارس الظلم على أفراد المجتمع عن طريق التركيز على إتباع الشعائر الدينية والتمسك بالأخلاق الحميدة، ومنه نجد أن هذه الأفكار تسير إلى اعتبار الاغتراب مرافق للأوضاع الاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في أوروبا»،[2] وكان الاغتراب هو المصطلح الذي استخدمه ماركس عام 1832 حين عمد إلى إرساء فلسفة اقتصادية جديدة للتعبير عن الهوة بين الطبقات الاجتماعية، وما ترزح تحته الطبقة العاملة من مشاعر سلبية كالرفض والتمرد والانفصال عن صاحب المال.[3]

---

[1]. المرجع السابق، ص07.

[2]. ينظر: جازيه كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية، عوامله ونتائجه، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في علم الاجتماع الصناعي1988 ،ص31.

[3]. ينظر: كاميليا عبد الفتاح، دراسة تحليلية لظاهرة الاغتراب،ص07.

وهي فكرة تراود أصحاب الفلسفة الوجودية بكثير إذ يرون بأن الاغتراب مرتبط بطبيعة خلق الحياة فهو داخل في صميم الوجود الإنساني، داخل نسيج الإنسان، ومهما حاول من خلال الحرية، ومن خلال إحساسه بالزمان، ومن خلال العلاقات الاجتماعية[1]، «ومن خلال العمل، أن يتجاوز أو يشفي من الاغتراب، فإنه سيموت مغتربا لن الحياة نفسها اغتراب، وذلك لأن الاغتراب ميتافيزيقي الأصل وليس مرتبط بالوجود العيني ومنشأه هو الصراع بين تناهي الإنسان وامتداد الكون».[2]

«ولم تكن الوجودية وحدها من يؤمن بذلك حيث نجد أيضا أن الرومانسية توجد لديهم هذه الفكرة، حيث يرون بأن أصل الاغتراب ميتافيزيقي، وتمثل غربة الإنسان في بعده عن وطنه الأول الفردوس وهي تتقاطع في ذلك مع المعنى الأصلي للاغتراب الديني في البيئة الفرنسية، وغربة الرومانسيين غربة بحتة خاصة بها، وكآبة لا تبرير لها، فلعلهم مكتئبون لأنهم وجدوا كما يقول بود لير ويكتئبون أكثر لأنهم مازالوا موجودين».[3]

مما سبق ذكره نخلص إلى أن الإنسان يحمل اغترابه منذ اليوم الذي يأتي فيه إلى هذا العالم، مما يعني أن المشكلة ليست حديثه مرتبطة بالعصور الآنية، ولكنها قديمة في الزمان والمكان، فقد عانى منها الإنسان القديم كما يعاني منها الإنسان في عصرنا الحديث، ومع اختلاف في الدرجة بسبب تغير طبيعة الحياة نفسها، وفي العصور الحديثة زاد اغتراب الإنسان لأسباب سياسية اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، وحضارية.

فمع تحول الإنسان إلى العيش ضمن تجمعات كبيرة بدأ يشعر بغربة قاتلة وكأنه يعيش في صحراء قاحلة دون أنيس أو رفيق ما يربطه بالآخرين مجرد علاقات إدارية واقتصادية.[4]

---

[1]. المرجع السابق، ص11.

[2]. المرجع نفسه، ص11.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص18، 12.

[4]. ينظر: غسان السيد الاغتراب في أدب زكرياء تامر مجلة الموقف العدد333، 1999 http:www,awu_dam,org\mokfadabu\\425\makfu425_005htm,,2008

**المطلب الثاني: أنواع الغربة**

**1.الغربة النفسية:** إن إيجاد مفهوم الاغتراب النفسي من أصعب ما يكون ذلك أن يتداخل مع أنواع وأبعاد الاغتراب الأخرى كالاجتماعي، السياسي، الديني.... الخ، ولكن هذا لم يمنع من وجود محاولات جادة في سبيل إيجاد تعريف شامل وعام، يشير إلى الحاجة التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار والضعف والانهيار، وذلك بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم في داخل المجتمع مما يعني أن الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة.

وتعد حالات الاضطراب النفسي أو التناقضات صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعتري الشخصية ولذلك نجد أن "إريك فروم" يرى أن المعنى القديم للاغتراب قد استخدم للدلالة على الشخص المجنون أي المغترب عن عقله.[1]

لا تزال الكلمة الإنجليزية ALIENTS تستخدم إلى الآن للدلالة على الطبيب الذي يعالج المرضى الذهنيين.

وقد ميز فروم بين الذات الأصلية والذات الزائفة على أساس أن الذات الأصلية ترادف مفهوم الذات غير المغتربة التي حققت وجودها الحقيقي المتكامل، فصاحبها مفكر وقادر على الحب والإبداع، أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وعن وجودها الإنساني الأصيل.[2]

كما ميزت هورني بين نوعين من اغتراب الذات، هما "الاغتراب عن الذات الفعلية"، و"الاغتراب عن الذات الحقيقية" فالأول يتمثل في إزالة وإبعاد كافة ما كان الفرد عليه بما في ذلك ارتباط حياته الحالية بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته، كذلك فقدان الشعور بذاته ككل.

[1]: ينظر:عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص18.

[2]: المرجع نفسه، 82 .

أما الاغتراب عن الذات الحقيقية فيشير إلى التوقف عن سريان الحياة إلى الفرد من خلال الطاقات النابعة من هذا المتبع أو المصدر الذي تشير إليه مروني باعتباره جوهر وجودنا.[1]

كما نجد أن فرويد كذلك قد يميز بين أنواع كثيرة لاغتراب الذات وذلك حسب تقسيمه للجهاز النفسي التي يرى بأنها تتكون من الشعور واللاشعور، الأنا الأعلى والهو.[2]

فاغتراب الشعور عنده يحدث إذا بدأت الأسباب التي تجعل تذكر بعض الحوادث والتجارب الشخصية السابقة أمر صعب، وذلك لأن معظم هذه التجارب مؤلم ومشين للنفس، وهذا هو سبب نسيانها.

وأما اغتراب اللاشعور فسببه تلك الرغبات المكبوتة التي تبدأ حياة جديدة وشاذة في اللاشعور، وتبقى هنا محتفظة بطاقتها، وتظل تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، وطالما أن عوامل القمع والكبث مازالت قائمة فإن اللاشعور يظل مغتربا عن الشعور، وبما أن الرغبة قد لا تنتهي بانتهاء وتفريغ قوتها من الطاقة بل تظل هذه الرغبة محتفظة بكامل قوتها من الطاقة التي تحقق الفرصة الملائمة للظهور مرة أخرى في حالة ضعف الأنا مثلا أثناء النوم.

وفيما يخص اغتراب كل من الأنا، الأنا الأعلى و الهو فنجد أن "فرويد" قد تطرق إلى ذلك موضحا بأن اغتراب الأنا ذو شقين، الأول يرتبط بسلب حريته في إصدار حكمه فيما يعلق بالسماح للرغبات الغريزية بالإشباع، ومن ناحية وسلب معرفته بالواقع وسلطة الماضي (الأنا الأعلى).

أما اغتراب الأنا الأعلى فيتمثل في فقدان السيطرة على الأنا وهي الحالة التي تأتي بدورها نتيجة سلب معرفة الأنا بسلطة الماضي أو زيادة الهو على الأنا، وهذا الجانب السلبي لاغتراب الأنا، أما الجانب الإيجابي فإنه يتمثل في اتساع سلطة الأنا الأعلى بمظهر الاعتماد والذي يصاحبه عدم افتتان الأنا بالواقع الإجتماعي.

فأما اغتراب الهو فيقصد به سلب حريته، وذلك لأن حرية الهو تعني وقوع الأنا تحت ضغط الأنا الأعلى والواقع الاجتماعي.

---

[1]: المرجع السابق، ص84.

[2]: ينظر: المرجع نفسه، ص83.

ومن خلال هذا نجد أن الاغتراب في نظر "فرويد" هو اضطراب مرضي، وقد وافقه في ذلك العديد من الباحثين حيث يرون بأن الاغتراب النفسي أو الذاتي هو اضطراب نفسي يتمثل في اضطراب الشخصية الفصامية حيث يتسم الشخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية نتيجة الافتقار إلى مشاعر الدفء واللين، أو الرقة مع الآخرين ... الخ.[1]

**2. الاغتراب الاقتصادي (الوظيفي)**: لقد ارتكز مفهوم الاغتراب الوظيفي في القديم على الاغتراب ذا الطابع التاريخي الفلسفي، أما الدراسات الحديثة فتبين لنا أن الاغتراب الوظيفي يرتكز على فكرة الفاعلية الوظيفية بمعنى شعور الفرد بمدى مقدرته على التأثير في مجريات العمل الذي يمتهنه، سواء على مستوى القرار الوظيفي أو على مستوى علاقاته المهنية أو على مستوى ظروف العمل.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن معظم الدراسات التي تتناول الاغتراب تعتمد على محورين رئيسيين هما سلوك العاملين، واتجاهاتهم نحو الخيارات والفرص المتاحة لهم من قبل الأنظمة العمالية في مجتمعاتهم، ومدى استعدادهم لمحاولة تبديل ما لا يرضون عنه من تلك الخيارات والفرص الوظيفية.

وفي هذا الصدد نجد مجموعة من علماء الاجتماع في السابق والحاضر تجندوا من أجل إيجاد تعريفات عامة وشاملة للاغتراب الوظيفي، أو لتطوير التعريفات الواردة في التراث السوسيولوجي والفلسفي لموضوع الاغتراب الاقتصادي (الوظيفي) يهدف تطويعها للبحث العلمي والتجريبي ومن بين هؤلاء نجد **ماركس ، آلان تورين ، محمد حمد الحربي وكشرود عمار الطيب .... الخ.**[3]

فيعرفه ماركس بأنه العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التعبير عن ذاته التي تحولت وصارت تبدوا متمثلة في استقلال إنتاج العمل بواسطة الرأس مالي، أو الوضع الذي يشعر فيه مراء بأنه فاقد لنفسه، إنه غريب أمام نشاطه وأعماله، ويكاد يفقد إنسانيته كلها، فليس الأمر مجرد خطأ أو نسيان بل هو فقدان للذات وذلك حين يتعرض الإنسان القوي معاديه ربما كانت من صنعه ففي

[1]. المرجع السابق، ص83.

[2]. المرجع نفسه، ص85.

[3]: ينظر: عبد اللطيف بكوشي، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالاغتراب الوظيفي لدى أساتذة المتوسط،مذكرة ماجستير 2007/2006، ص61.

حال الاغتراب يستنكر أعماله ويفقد شخصيته، وفي ذلك ما قد يدفعه لتغيرات أحدثها الإنسان نفسه عن طريق التقدم العلمي أو الأزمات ظهورها وإذا بها تنقلب ضده بقصد تدميره لذا يصبح الجهد والقوة التي يمتلكها الإنسان كشيء آخر خارج عن نطاقه هو نفسه، ومن هنا يثور على عمله، ويحاول أن يعيد ما ضاع منه وهي ذاته أو شخصيته.

ويعرفه **آلان تورين** تعريف ذا طابع اقتصادي حيث يقول: بأنه الوعي بالعائق أو المعارض لمراقبة العامل لوسائل إنتاج عمله الذي يساهم في إنتاجه عن طريق نشاط معروف اجتماعيا.

أما محمد حمد الحربي فيرى بأن الاغتراب الوظيفي هو شعور الموظف بالغربة في موقع عمله بسبب الانغماس في البيروقراطية.

حسب هذا التعريف نلاحظ أن المغترب يشعر ويعي جيدا بأنه لديه ثروات وطاقات، ولكنه ليس هو المالك الحقيقي لهذه الطاقات بالنقص والضعف لأن وجوده يتوقف على وجود قوى خارجية عنه وهي متشكلة في أرباب العمل.[1]

أ. **أسباب وعوامل الاغتراب الاقتصادي (الوظيفي)**: هناك عدة أسباب وعوامل، كما له نتائج وخيمة على كل الطرفين:

- عدم توظيف العامل في اختيار عمله مما يؤدي إلى عدم التكيف معه وبالتالي، يشعر وكأنه شيء غريب عنه وأنه هو الذي أنتجه وبعبارة أخرى يصبح العامل مغتربا.
- قيام المجتمع المتقدم على أساس كابتة والتي منها تمركز القوة الاقتصادية في الدولة والحكم والبيروقراطية والإدارة المفرطة.
- التطور الهائل والسريع الذي عرفته الحضارة مما يؤدي إلى فشلها في إتاحة فرصة للإنسان ليحقق قواه وإمكاناته الخلاقة، وحوله إلى إنسان غريب عن نفسه حيث يسلك سلوكا شخصي لا ينم عن أي شعور حقيقي، وهكذا تكون الحضارة المعاصرة هي المتهم الأول وراء تفشي مشاعر الاغتراب.[2]

[1]: جازيه كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية، ص36.

[2]: جازيه كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية عوامله ونتائجه، ص46.

- «معاملة المجتمع الرأسمالي للعامل على أنه سلعة كغيره من السلع التي ينتجها غير أنه ليس كذلك لأنه يتمتع عنها بالوعي.
- ضعف العلاقات الاجتماعية بين العاملين والإدارة في المؤسسات والمنظمات الصناعية وبين العاملين وبعضهم البعض مما يؤدي إلى ضعف التماسك في بيئة العمل وهو ما يعكس حالة من الاغتراب، حيث انفصال الإنسان عن وجوده الإنساني والميل إلى الابتعاد عن الآخر، والشعور بعدم الانتماء لجماعة العمل.

ومنه نقول أن الحضارة الراهنة هي أزمة أو مرض يحول بين المرء وقلبه وعقله، وأن عصر التقدم الصناعي زاد من تفاقم الشعور بالاغتراب حتى أخذ شكل الظاهرة، وخاصة مع تراجع الإيمان الديني الذي كان يقدم تفسيرا أو تعديلا مقبولا لكل شيء».[1]

ب. **آثاره ونتائجه:** تتلخص أهم نتائج الاغتراب الاقتصادي في النقاط التالية:

- التشيوء: حيث يعامل الفرد كما لو كان شيئا وأنه تحول إلى موضوع فقد إحساسه بهويته، انفصال أهداف العامل وغاياته عن أهداف وغايات المنظمة أو المجتمع.

الشعور بالعجز وعدم السيطرة على مراحل وإيقاع عمله والشعور بأنه موضوع لتحكم الآخرين أو الآلات، وكذلك شعور الفرد بأن العمل لا معنى له سوى أنه وسيلة للكسب والتعايش.

- التمرد: وهو شعور الفرد بالرفض والكراهية لما حوله من قيم ومبادئ وأساليب عمل وفلسفة منظمة، هو ما يفض إلى رفض أو عدم تقبل ذاته وغيره.
- فقدان الإنسان لإنسانيته وخاصة في المجتمع الرأسمالي الصناعي حيث يصبح الإنسان وسيلة للمصالح الاقتصادية بعد أن كان غاية في ذاته، ومنه تصبح الأشياء الجامدة فرقه أي أنها تصبح ذات أهمية أكبر واعتبار على حساب الإنسان.

**3. الاغتراب السياسي:** ويقصد به شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في

[1]: المرجع نفسه، ص47.

صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه واليأس من المستقبل على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم ولا يأخذ به.

هو شعور المرء بعدم الرضا أو عدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة في الابتعاد عنها وعن التوجهات السياسية الحكومية والنظام السياسي برمته، وهو شعور كرسته جملة من الأسباب والعوامل الموضوعية التي من أهمها:

- عدم الرغبة في المشاركة السياسية في المجتمع أو التنظيمات السياسية وذلك لضعف العلاقات الاجتماعية والعجز عن الانتماء.
- العزلة عن النظام السياسي وعجزه عن تمثيله، واستجابة أي أن الفرد لا يفهم ولو بشكل بسيط ما يحدث في الحياة السياسية وهذا سببه التعليم.
- غياب الحرية وعدم وجود فرص حقيقية كافية يحقق من خلالها الفرد أهدافه وطموحاته مما يؤدي إلى الشعور بالفشل.[1]

ومن مظاهر الإغتراب السياسي، الامتناع عن الانتخابات حيث نجد أعدادا كبيرة من أفراد المجتمع لا تشارك في الانتخابات وذلك لفقدانهم الثقة في المرشحين الذين لا يعبرون إلا عن مصالحهم الشخصية إضافة إلى أنهم يعلمون وأن النتائج توضع مسبقا، أي أن مشاركتهم ما هي شكلية وهو مظاهر يتواجد بكثرة في وطننا العربي في حالة وجود الانتخابات،وتزايد عمليات الإرهاب والتطرف التي تستهدف في أغلب الأحيان السياسيين والمباني الحكومية، وهي عبارة عن ردود أفعال تلجأ لها بعض الجماعات نتيجة للقمع المتزايد الذي يحرم الفرد فرصة التعبير عن مشاكله وآرائه الشخصية والواقع أن العالم المعاصر بمشاكله وضغوطاته المستمرة يساهم بقدر وافر في تفشي وانتشار ظاهرة الاغتراب.

**4. الاغتراب الاجتماعي**: بعد الاغتراب السياسي المتسبب الأول في وجود الغربة الاجتماعية، ذلك أنها تتصل بالظروف السياسية، وبتقلبات الأحداث، ومصائر الأشخاص الفعالين في جهاز الدولة، أو

[1]. ينظر: عبد اللطيف محمد خليفة،دراسات في سيكولوجية الإغتراب، ص97، 99.

صفوف المجتمع وتسهم العوامل الموضوعية، والذاتية في إبراز الجوانب السياسية للظاهرة الاجتماعية والوجوه السياسية للظاهرة الاجتماعية.

وأولى مراتب الغربة الاجتماعية هي غربة الناس، والمتسبب الأول فيها هو التغيرات التي تحدثها التطورات المهمة التي تحدث للجماعات وذلك تبعا لنوع المراحل السياسية التي تجتازها وكذلك تبعا لمدى جنوح التاريخ القريب على زمنها لمدة أطول أو أقصر، لأن اعتياد الجماعة البشرية على القيم في ظل مرحلة معينة لفترة طويلة "بالقوة أو بإرادتها" يؤدي إلى تعودها على صفات جماعية أو شبه جماعية قد لا تكون من خصائصها الثابتة وإن كانت بالنتيجة تقترب منها.

كما أن الاختلاف السيكولوجي للجماعات البشرية، وكذا اختلاف السمات والخصائص له دور مهم وفعال في خلق حواجز بين المجتمعات لأن الاختلاف أمر طبيعي، حيث لا توجد سمات وخصائص نهائية، وأبدية، وأن قانون "التفاعل" لا يسمح بوجود خصائص وهذا ما يؤدي إلى تغذية الصراعات والخلافات المذهبية، وهو ما يزيد من توتر العلاقات الاجتماعية مما يؤدي إلى غربتها.[1]

وأما ثاني مراتب الغربة الاجتماعية غربة الأصدقاء: فالصديق هو القوة المساندة في السراء والضراء في الفرح والقرح وهو الحبيب الذي تشترك نبضات قلبه مع نبضات قلب صديقه لذا قيل «الغريب من لم يكن له حبيب»،(يعني صديق).

هذا هو الصديق، ولكن كيف حال إذا خذل الصديق صديقه وهجره، فهي بلا شك حالة اغترابية.[2]

«فأما ثالث مراتب الغربة الاجتماعية فهي غربة الأقرباء: وهي حالة اغترابية أكثر مأساوية، لأن الإنسان يفقد أكبر سند له، وقد يكون فراق الأهل والأقارب بسبب خلافات ومشاكل تحددها مشاكل الحياة، كما يكون سببه الوفاء وهو أكثر إيلاما ما لأن الفراق يكون أبدي، وهو ما يسبب غربة شديدة لصاحبها».[3]

[1]: ينظر: السيد جاسم، الاغتراب في حياة و شعر الشريف الراضي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص77.

[2]: المرجع السابق، ص81.

[3]: المرجع نفسه ، ص87.

**5.الاغتراب الديني:** ورد الاغتراب الديني في كافة الأديان على أنه الانفصال، أو التجنب عن الله، فقد جاء الاغتراب في الإسلام على هذه الصورة التي يوضحها "الرسول (صلى الله عليه وسلم)" حيث قال: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء" قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال: "الذين يصلحون إذا فسد الناس، والغرباء هم فئة قليلة من أهل الصلاح والتقوى، استجابت الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مبتدأ الدعوة، ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات».[1]

كيف لا يغترب الإسلام في زمننا بعد أن زال الورع وطوى بساطه وإشتد الطمع، وارتحلت عن القلوب حرمة الشريعة، وصاروا لا يميزون بين الحلال والحرام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة وركنوا إلى إتباع الشهوات، فعاد الإسلام غريبا كما بدأ.[2]

**«وقد جاء الاغتراب في ثلاث درجات هي:** اغتراب المسلم بين الناس، اغتراب المؤمن بين المؤمنين واغتراب العالم بين المؤمنين.

فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين الناس وقلة مشاركة الناس لهم، فقد زالت الغربة بين المسلمين حين ظهر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، ولكن سرعان ما أخذ الإسلام في الاغتراب والترحل حتى عاد كما بدأ فوصف المسلمون بالغربة».[3]

**6. اغتراب اللغة:** قد يسأل أحد كيف للغة أن تغترب؟ وهي أساس الشخصية ومستقر القيم ومنهج الفكر وأكثر من ذلك فهي المواطن الأصلي لكل العلوم.[4]

- إن الإنسان العربي أصبح يعيش انفصالا تاما عن لغته الأم (العربية)، بعد أن فرضت عليه لغات مختلفة لأسباب متعددة والتي كان الاستعمار أهمها، فكانت غايته طمس اللغة الأم بشتى الوسائل والأكثر من ذلك أنه بعد أن حصلنا على استقلالنا المزعوم لم نلتفت إلى ذلك الخطر الداهم، فرحنا نعمل على تكريس تلك اللغات التي تركها الاستعمار وذلك على حساب لغتنا الأصل،

[1] :ينظر: عبد اللطيف، محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيا الاغتراب، ص101.

[2]: ينظر: عمر بوقرورة، الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي، ص09.

[3]: ينظر: عبد اللطيف، محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيا الاغتراب، ص101.

[4]: المرجع نفسه، ص124.

فأصبح أطفال الصفوف الأولى يلقنون لغات متنوعة، ونجد أن رموز الدولة وقادتها يتوجهون إلى شعوبهم بلسان أجنبي، وهذا ما ترك اللغة العربية تغترب.

**المطلب الثالث: نظريات الاغتراب**

يقصد بمفهوم النظرية «مجموعة من القوانين العلمية والمبادئ الأكثر دقة والقضايا العامة المرتبطة ارتباطا منهجيا ومنطقيا والتي تتناول بالتفسير وتحليل الظواهر والحقائق المرتبطة بموضوع ما.

هو ما سنحاول التطرق إليه في هذا العنصر وذلك من خلال عرض مختصر لأهم المبادئ والقضايا التي تضمنتها نظريات الاغتراب والتي من أبرزها النظرية الأنطولوجية (الإنثروبولوجية)، النفسية العقلية والسوسيولوجية».[1]

**1- النظريات الأنطولوجية**: ترتكز هذه النظرية على جانبين رئيسيين وهما التفكير الديني والوجودي حيث تقوم بينهما ثغرة تسبب ظهور الاغتراب، الذي يعتبر ظاهرة مميزة للوجود البشري مهما كانت صفته الإنسانية أو طابعه الاجتماعي.[2]

وبذلك حددت عدة اتجاهات داخل هذا المنحنى الأنطولوجي، تفسر وتحلل ظاهرة الاغتراب التي لا مفر منها بسبب الثغرة القائمة بين:

**أ . المثل والأعلى والواقع**: أي أن الإنسان يجد نوعا من عدم التوافق بين الواقع وبين المثل العليا التي ترغب سلطته العليا في تحقيقها، وهو ما يؤدي به إلى الاغتراب الحتمي ما دامت الثغرة موجودة ولا سبيل لتحطيمها وردمها.[3]

**ب . ثنائية الذات والموضوع**: يذكر،كيكر غارد "أن الاغتراب مرتبط بهذه الثنائية فالنفس ترغب في تحقيق ذاتها التي لا تستطيع الوصول إليها، وهذا يتضمن بدوره نظرة تشاؤمية في إمكانات الاتصال مع الآخرين مما يؤدي إلى حالة مرضية تقترب من الموت".

**2- النظريات النفسية العقلية (الطبية)**: ترتبط هذه النظرية بالعصاب والعصابيين، أي أن الاغتراب تعبير عن حالة عصبية يكون المرء فيها في أغلب الأحيان عاجزا عن مواجهة الحياة والتكيف مع من حوله يعني

[1]. ينظر: جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص40.

[2]. ينظر: عبد اللطيف بكوش، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالاغتراب، ص58.

[3]. المرجع السابق، ص41.

أن هذه النظرية تعتمد على التحليل النفسي وما يرافقه من محاولات الأفراد من عقدهم النفسية لأن الاغتراب مجرد عملية وليس بنية الذي يمكن أن يصبح قوة ذاتية تؤكد ذاتها، وهنا تظهر غربة الذات بأبهى أشكالها، أي أن الفرد يهرب خلال السنين من ذاته الحقيقية ومكوناته الأساسية، فالفرد هنا غير قادر على تحقيق ذاته بذاته، وعلى التحكم الذاتي بحياته، إنها نوع من العجز أمام الحياة.[1]

وكعادة أصحاب التحليل النفسي فهم يرجعون هذه الحالة الاغترابية إلى الخبرات الأولى في الطفولة والتي تراكمت على مر الأيام عبر التفاعلات مع أعضاء الأسرة الخاصة والمجتمع عامة، عبر مراحل النمو المختلفة.

وفي نظرهم تخلف هذه التفاعلات أنواعا مختلفة، من القلق الإنساني، وتكون محاولة الطفل الاغتراب تنطلق إلى بذل جهود الإنقاص والشعور بالقلق، وعليه تصدر عن الطفل مختلف الاستجابات كالانسحاب والعدوان ومدح الذات واعتبارها مثالية باختصار عدد من آليات الدفاع عن النفس[2]

**3- النظرية السوسيولوجية:** «تؤكد هذه النظرية على أن الاغتراب هو نتاج للظروف البيئية أي أنه اغتراب ناتج عن ظروف العمل الصناعي والعلاقات الاجتماعية التي كونها الإنسان بعد نضجه واختلاطه بالمجتمع الكبير، وتأتي النظرية الماركسية في مقدمة هذه النظريات التي أرجعت الاغتراب إلى النشاط الإنساني لأن كل شيء ينتجه الإنسان يصبح غريبا بل يتحول ضده»،[3]ويرى **ماركس** أن الاغتراب يصل ذروته في المرحلة الرأسمالية، وفي هذا يقول: «أن العامل يفتقر كلما أنتج الثروة في الوقت الذي يزداد إنتاجه قوة وحجما».[4]

هذا يعني أن العامل يضع نفسه كإنسان، ويصبح سلعة في العملية الإنتاجية، ويمكن ملاحظة اغتراب العامل في العلاقة بين العامل وإنتاج عمله، الذي يصبح شيئا غريبا عنه فيحرم منه من جهة، وبين علاقة العامل بنشاطه الخاص المبعثرة بمثابة علاقة بنشاط غريب عنه من جهة أخرى.

---

[1]. ينظر: عبد اللطيف بكوش، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالاغتراب، ص59.

[2]. ينظر:جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص43.

[3]. خير الله عصار، مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص180.

[4]. ينظر:جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص 60.

وهنا بسبب أنه شيء ينتجه العامل فيتحول إلى نشاط خارج عن نطاقه ومن ثم يسبب له الاغتراب، فلا يشعر بذاته إلا خارج العمل ولا يجدها داخله العمل، فعمله إذن ليس إداريا وإنما مفروضا عليه.
وهذا يعني أن علاقة الإنسان بعمله يمكن أن تكون سببا مباشرا في ظهور الاغتراب الإنساني، حيث يفقد العمل هدفه الإنساني السامي.[1]

ومن خلال هذا العرض المبسط لأهم النظريات التي عالجت موضوع الاغتراب نخلص إلى القول: «بأن جميعها يفسره بالاستناد إلى النزعة التي تمثلها كل واحدة من تلك النظريات، إذ نجد أن النظريات الأنطولوجية تركز على جانبين رئيسيين وهما التفكير الديني والوجودي حيث تقوم بينهما ثغرة تسبب ظهور الاغتراب الذي أصبح حالة خاصة بالوجود الإنساني، يتمثل في الصراع بين السلطة الداخلية للإنسان وهي محاولة الامتثال إلى المثل العليا والقيم أو بين الضغوط التي يسببها الواقع (وهي إشباع الحاجات الضرورية والكمالية المختلفة لاستمرار بقاء الإنسان)، ونظرا لفشل الإنسان في تحقيق التطابق والتلاؤم بين ضغوط الواقع المثل العليا يصاب بالاغتراب».

بينما النظريات النفسية العقلية فنجد أنها تربط وجود الاغتراب بكل ما يلقن الطفل به في بداية حياته، وتفاعله مع المجتمع بصفة عامة في حين أن النظريات السوسيولوجية ترجع أسباب الاغتراب إلى الظروف البيئية أي اغتراب ناتج عن ظروف العمل الصناعي.[2]

[1]. المرجع السابق، ص46.
[2]. ينظر جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص48.

**المطلب الرابع: أبعاد الاغتراب:**

يقصد بالبعد المكونات التي يتألف منها شيء ما، وبما أن الاغتراب مفهوم مركب ومعقد، حيث وجد الباحثون صعوبة في تحديد مفهومه بشكل محدد وواضح، لكن هذا لم يمنع من الاتفاق حول أهم مظاهره وأبعاده والفضل في ذلك يعود إلى "ملفن سليمان" الذي حلل الاغتراب إلى أبعاده وعناصره الأولية وهي خمسة أبعاد.[1]

1. **العجز (اللاقوة)**: هو الإحساس بالعجز عن مواجهة الأحوال الاجتماعية والسياسية أي عجز الفرد عن السيطرة على الأحداث وعدم القدرة على فعل أي شيء في مواجهة مشاكل عالم اليوم.[2]

أو هي تلك الحالة التي يشعر بها الفرد بأنه غير قادر على تحقيق نتائج أو الوصول إلى المكافآت التي يريدها أي عندما تكون الأوضاع التي يواجهها الفرد تعرض نفسها عليه ولا يستطيع أن يفعل شيئا تجاهها، ويبدوا أن هذا يحدث خصوصا في أيام التغيير الاجتماعي الذي يبقى راكدا نسبيا.[3]

2 . **اللامعنى (فقدان المعنى)**: هو شعور الفرد باللامعقول واللامبالاة وشعوره بأن الحياة لا معنى لها، وأن الأشياء والأحداث والوقائع المحيطة لا جدوى منها.[4]

ويعرفه "ملفن سليمان": «بأنه يعني توقع الفرد بأنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا تكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى كما يقوم به، وما يتخذه من قرارات».[5]

يعني ذلك أن اللامعنى يعبر عن نوع من الضياع يعجز فيه الفرد عن توجيه سلوكه نحو أهداف معينة لأنه لا يستطيع فهم المعايير التي توجه تصرفات المسؤولين.[6]

---

[1]. ينظر:جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص48.

[2]. ينظر: محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، د ط، 2004، ص24.

[3]. ينظر:جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص49.

[4]. إجلال محمد سري، الأمراض النفسية الاجتماعية، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2003، ص123.

[5]. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات سيكولوجيا الاغتراب، ص37.

[6]. ينظر:جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص51.

3 . **اللامعيار (فقدان المعيار)**: يعرفه ملفن سليمان: "بأنه الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابا، وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد، وحجبها عن معايير وقوانين المجتمع".[1]

كما يعرف على أنه شعور بالغموض أو نوع من الرفض للقواعد والتعليمات التي يفرضها المجتمع لذلك يمكن اعتبار اللامعيار نوعا من التغيرات الاجتماعية الجديدة الناتجة عن التقدم العلمي والتكنولوجي والتي أدت إلى ظهور نظم إجتماعية جديدة.[2]

4 . **الانعزال (غربة الذات)**: «في ضوء تناول فروم الاغتراب من الوجهة السيكولوجية، وتركيزه على الفرد وليس المجتمع كسبب للاغتراب، عرفه بأنه: "نمط من الخبرة يرى الفرد نفسه كمغترب، فهو يشعر بأنه غريب عن نفسه، حيث لم يرى ذاته أو يخبرها كمركز العالمية، أو كذا شيء وخالق لأفعاله، ولكن أفعاله ومرتباتها تصبح لها السيادة، إنه يطيعها ويخضع لها"، أي أن تفاعل الفرد مع مجتمعه يجدد مستوى اغترابه، فالخبرة المتضمنة في هذا التفاعل تخلق الإحساس بالاغتراب من عدمه، ويشعر الفرد بالاغتراب من عدمه، ويشعر الفرد بالاغتراب عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها، وهذا من شأنه أن يجعل الشخص يشعر أنه لا معنى لحياته كما يشعر باغتراب الذات».[3]

5 . **العزلة الاجتماعية**: هي الحالة التي يكون فيها الشخص الذي يعاني من الانعزال يشعر بانفصال واضح عن المجتمع، كما أنه لا يستطيع مسايرة العصر الذي يعيش فيه وخاصة ما هو متفق عليه اجتماعيا أنه يعتبر القيم والأعراف وكأنها فقدت وظيفتها فلم تعد صالحة في عصر اشتد فيه التغيير الاجتماعي، كما أن متطلبات الحياة في تزايد مستمر مما يؤدي إلى ابتعاد الفرد عنها.

ويمكن أن يكون التصرف أفضل مثل عن الاغتراب، فالمتصرف يبتعد عن مجتمعه لأنه لا يجد السلوى إلا في العبادة والتطلع إلى عالم آخر مثالي أبدي، وهذا يخفف عنه حدة السخط والتذمر من ضغط المجتمع

[1]. المرجع السابق ، ص38.

[2]. المرجع نفسه، ص51.

[3]. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات سيكولوجيا الاغتراب، ص40.

المتغير باستمرار، وبهذا الشكل ينعزل الفرد عن مجتمعه الذي لم يستطع فيه تحقيق وإشباع حاجاته.[4]



[4]. جازيه كيران، الاغتراب العمالي في منشأة صناعية، ص52

**المبحث الثاني: الغربة من خلال الرواية عابر سرير**

«إن المبدع لا ينشأ من فراغ ثقافي لذلك كان امتصاصه للمخزون الثقافي الخارج عن ذاته ثم الانصهار معه للتوليد الجديد المتميز»[1].

فمن الوهلة الأولى نجد أن أحلام تعيش غربة مكانية وأخرى روحية وهو الأمر الذي يتضح من خلال العنوان عابر سرير ففي هذا العنوان اجتمع الثابت والمتغير، فالثابت هو السرير والمتغير هو العابر الذي لا يعرف الاستقرار.

وما إن نتطرق إلى مضمون الرواية حتى نجد أنفسنا أمام غربة حقيقية يتخبط فيها الأبطال فهم منفصلون (مغتربون) اجتماعيا، سياسيا، اقتصاديا وحتى نفسيا.

**1- الغربة الاجتماعية:**

إن أبسط أشكال الغربة هي الهجرة والرحيل من وطن لأخر، وقد تكون هذه الهجرة في بعض الأحيان اضطرارية، وذلك بحكم الظروف القاسية ، كما يمكن القول أن النزوح عن الوطن والبعد عنه هو في الأصل بعد عن المجتمع والهروب منه، لأن الوطن هو الشكل المعنوي للمجتمعات البشرية .

ويكون الهروب من المجتمع في الرواية يمثله **خالد** مثلا سافر خارج الوطن صدفة وفي ذلك لم يتوان عن انتهاز هذه الفرصة للقاء بحبيبته ذاقت به وطنه وسائر الدول العربية «كنا مساء اللهفة الأولى عاشقين في ضيافة المطر رتبت لهما المصادفة موعدا خارج المدن العربية للخوف»[2] ذلك أنه لا يأتمنها على لقاء كهذا لأن كثير من الخوف والقتلة يتربصون به ، ففي وضع كهذا كان عليه أن يختار مكانا غير هذا الذي ألفه ولكن الصدف والقدر تكفل بذلك فكانت باريس هي المكان المنشود ضنا منه أنها قادرة على احتضان لقائه.

«إنه حبا عاش تحت رحمة القتلة، لابد أن يحتمي خلف أول متراس متاح للبهجة »[3]

---

-**أحلام مستغانمي**"شاعرة وروائية جزائرية من مواليد1953م بقسنطينة،خريجة كلية الآداب سنة1975م لسانس أدب عربي من جامعة الجزائر ،وحاصلة على دكتوراه في علم الاجتماع ،من جامعة السوربون ،في باريس سنة 1982م ، مثلت الجزائر في عدة مهرجانات،حائزة على جائزة نجيب محفوظ للرواية سنة1998،وعلى ميدالية الأدب الجزائري في نفس السنة.

(عابر سرير) هو الجزء الثالث من ثلاثيتها "ذاكرة الجسد و فوضى الحواس".

[1] : د ـ عبد الستار إبراهيم ، أفاق جديدة دراسة الإبداع ، سلسلة علم النفس للحياة ، الناشر وكالة المطبوعات 27 شارع فهد سالم ، الكويت ، دط، دت، ص 54.

[2] : أحلام مستغانمي، عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت لبنان، ط2، 2003 م، ص 09.

[3] : الرواية، ص 09.

وكذلك تتمثل ظاهرة الغربة في قوله «تشتري فستان سهرة يعادل ثمنه معاشك في الجزائر لعدة شهور، ... أن تشتري سهرة لامرأة لم تعد تتوقع عودتها ولا تعرف في غيابك ماذا فعل الزمن بقياساتها ، أهي رشوة منك للقدر؟.»[1]، فتمثلت الغربة هنا كونا البطل بعيدا عن الجزائر وعن حبيبته في نفس الوقت.

إن البطل يعيش غربة قاسية متيقن كل اليقين بأنها مستمرة حتى أجيال لاحقة فكان يمنع زوجته من الحمل، لأنه يخاف على نسله من تجربة قاسية لا يعرف مداها إلا من عاشها «كنت لسنوات أفرض عليها تناول حبوب منع الحمل مهووسا بخوفي أن أغتال فتتكرر في طفلي مأساتي ، فكرة أن أترك ابني يتيما كانت تعد بني.».[2]

إنها مأساة فرضها طغاة الأرض لينعموا على كراسي السلطة ، فلا يعنيهم أمر الشعوب فكيف الحال إذ بعد أن تحولت غابات فسيحة أفنى أهلها عمرهم في خدمتها ، وإذا بها تتحول إلى منتجع يؤمنه القتلة لاصطياد فرائسهم البشرية «بعد أن عاد الموت ليختبئ في الغابات المنيعة المجاورة محاطا بغنائمه وسباياه من العدارى ولن يخرج إلا في غارات ليلية على قرية أخرى ...»[3].

وقد اختار المستعمر أدوات بسيطة حتى يتذوق متعة القتل «شاهرا أدوات قتله البدائية التي أختارها بنية معلنة للتنكيل بضحاياه »[5]

فمثلا في **مذبحة بن طلحة** تمت على مرأى ومسمع من صانعي القرار «في مذبحة بن طلحة كان يلزم ثلاث مقابر موزعة على ثلاث قرى لدفن أكثر من ثلاثمائة جثة فهل الموت هذه المرة كان أكثر لطفا؟ »[6].

في وضع كهذا يحتاج الإنسان إلى حنان أم يحويه ويخفف من عذابه أو إلى قوة أب تمنحه الإرادة لمواصلة الحياة أو وفاء صديق يكون له عونا في محنه.

إن البطل في الرواية وحيد كجدع شجرة مقطوعة يعيش مأساة الحياة، فأمه ماتت وتركته للحفر واحدة تلوى الأخرى، بحثا عن رحم يعوض به فراق أمه.

---

[1] : الرواية، ص 13.

[3] : الرواية، ص 21.

[4] : الرواية، ص 30/29.

[5] : الرواية، ص30.

[6] : الرواية، ص 31.

إن يتمه المبكر وليست شهواته جعله يتورط مع النساء «ليست الشهوة بل اليتم، ما يلقي بفتى، في أول حفرة نسائية يصادفها »[1].

وأبوه هو الأخر مات وترك له ذكريات تحولت إلى كوابيس توقضه كل مرة وتفسد عليه سكينته «أبي الذي كثيرا ما يذر ثروته على النساء»[2].

وأما أصدقاءه ورفاق دربه فهم الآخرون تخلوا عنه وتركوه وحيدا للمعاناة ، فمنهم من غادره رغما عنه لأن الموت اختاره. ومنهم من اختار التخلي عنه بإرادته لأنه نجح وهو لم يفعل، فقد تحول ذلك الصديق والجار إلى عدو لدود.

«النجاح أكبر جريمة يمكن أن ترتكبها في حقه..... ستخرج من مسدسه الرصاصة التي ستريديك قتيلا مكفنا بنجاحاتك ...»[3].

إنها لعنة النجاح قادرة على قلب الأصدقاء إلى أعداء.

إن غربة المجتمع هي أكثر وجعا وإيلاما لأنها حولت الوطن إلى باب موصد في وجه أبناءه لأن وطنه مغلق في وجهه.

«إنها غربة عاشها شريف الراضي، فقد خير تلك الفترات الصعبة التي تجعل من الوطن والأهل والأصدقاء غرباء كما أخبر عن غدر الأهل والأصدقاء عند الحاجة إليهم »[4].

وكذلك عانت نازك الملائكة نوعا من الغربة وتبين ذلك في مطلع قصيدتها عاشقة الليل

« أعبر عما تحس حياتي وارسم إحساسا روحي الغريب فأبكي إذا صدمتني السنين »[5].

« تجلت ظاهرة الاغتراب واتضحت في ديوان نازك الملائكة فبدأت تحمل قلق رومانتيكي وإحساس بالضياع فاستسلمت للحزن »[6].

## 2- الغربة الاقتصادية (الاغتراب الوظيفي):

[1]: الرواية ص 46.

[2] : ن م ، ن ص.

[3] : الرواية ص، 35.

[4] : للتوسيع، ينظر : عزيز السيد جاسم ، الاغتراب في حياة وشعر الشريف الراضي، دار الأندلس ط1 1996م ، ص 25.

[5] : نازك الملائكة ، عاشقة الليل ، دار العودة بيروت ط2 د ت ، ص 597.

[6] : ينظر : محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية ، دار المعارف القاهرة ، ط3، 1974 ، ص 267.

يسعى الإنسان ككائن عاقل أن يسموا بنفسه من خلال عمله ويتوفر له ذلك إذا كانت ظروف العمل مناسبة سواء ظروف داخلية ، كأن يكون العمل مريحا، لا يعرض صاحبه للمخاطر أو ظروف خارجية متمثلة في ظروف المجتمع فاغتراب الإنسان في عمله ما هو إلا نتيجة اغترابه عن مجتمعه ، فكيف يمكن أن نتصور إنسان يعاني انفصالا عن مجتمعه وفي الوقت نفسه يكون متصالحا مع عمله ، لا يمكن ذلك أبدا.

وفي ذلك شعور بالانفصال والاستقلال عن العمل وهو الأمر الذي حدث مع بطل هذه الرواية حيث نجده يشعر بانفصال تام عن عمله والمتمثل في مهنة الصحافة وذلك لعدة أسباب ولعل أولها هو فقدان الراحة التي من المفروض أن تكون لدى الإنسان في عمله، ذلك أنه كان في المهنة الأكثر تعبا وأقرب للموت، وهي نتيجة توصل إليها كل من عمل في هذا الميدان، فمنه من حالفه الحظ ولم يلقى مصرعه ولكن لن يخرج منه سالما «كل مصور حرب، مشروع قتيل يبحث عن صورته وسط الدمار، ثمة مخاطرة في أن تكون مصورا ...».

وليس الإحساس أو الخوف من يثبت هذا ؟ بل التجربة «المشاهير من مصوري الحروب الذين سبقوك إلى هذا المجد الدامي، يؤكدون: أنت لن تخرج سالما ولا معافى من هذه المهنة »[1] هذا على الصعيد المادي أما معنويا فإن مهنة الصحافة وخاصة مهمة التصوير وتصوير الحروب بالذات إنه أشد إيذاء لصاحبه.

«أن تكون مصورا للموت البشع كأنه دمارك الداخلي، ولن يرمم خرابك عند ذلك، حتى فرحة حصولك على جائزة »[2].

والأكثر من ذلك أن تصبح مشاركا في جرم لم تقترفه، فذنبك وبحكم المهنة أردت أن تنقل صورا للضحايا، فيشتبه في أمرك، «لصالح من أنت تعمل ؟ أأنت هنا لتمجيد إنجازات القتلة ومنحهم زهوا إعلاميا، إلى أي حزب من أحزاب القتلى تنتمي ؟» .

وفي كل هذا أنت مجرم حقيقي تلاحقه نظرات اشتباه، بل أسئلة عديدة لن تستطيع الإجابة عنها، بل اتهامات لن تجد لها أدلة كافية لتبرئك.

[1] : الرواية، ص 28.

[2] : الرواية،ن ص.

هو الأمر الذي أوصل بطل هذه الرواية إلى أن يشعر بالانفصال عن عمله وبأنه مستقل عنه فأصبح يرفض الحوافز التي تأتيه لأنها لن ترد عنه تلك الشبهات التي علقت به، ولن تعوض ذراعه المصابة جراء قيامه بتصوير إحدى المظاهرات، « رصاصتين تلقيتهما في ذراعي اليسرى وأنا أحاول التقاط صور للمتظاهرين أثناء أحداث أكتوبر 1988 »[1].

إنها خسارة فادحة لن تستطيع الأموال والجوائز تعويضها.

من حق هذا الإنسان أن يشعر بالغربة والانفصال الغربة عن عمله، بل من حقه أن يرفض كل ماله صلة به، فهو المتضرر الأول والأخير ماديا ومعنويا بدء بإصابته في ذراعه وانتهاء لكثرة الاتهامات التي قدمت له والاهانة التي تطرق لها جراء نيله الجائزة، ذلك أن الصورة التي فاز من خلالها بالجائزة أصبح شأنها أعظم منه.

والمجتمع بات ينظر للإنسان أنه وسيلة يكسب الأرباح ويشبع الفضول، وهو ما جعل هذا البطل يرفض هذه الجائزة بل يسعى إلى التخلص منها « استعجل التخلص من شبهة المال كانت تفوح منه رائحة مريبة »[2].

ومن أجل هذا وذاك بات اغتراب هذا البطل عن عمله أمرا ضروريا، فكيف له أن يتواصل مع عمل يجعل من صاحبه محطة للشبهات بل مجرما الكل يتربص به.

### 3-الغربة النفسية:

«يسعى الإنسان دوما إلى تحقيق عالم خاص مرة عن طريق الأحلام وأخرى عن طريق العمل لكنه كلما تقدم في طريق الأحلام ازداد بعده عن تحقيق أهدافه وتبدأ أحلامه بالتحطم، وبذلك يكون اغترابه عن كل ما يحيط به، بل عن ذاته نفسها، فاغتراب الذات ينشأ عن التناقض بين الواقع والخيال بين ما يحلم به وبين ما يملكه وما يطمح إليه»[3].

وهذا ما يبدو في روايتنا هذه، حيث نجد معظم شخصياتها تعاني اغترابا ذاتيا، وخاصة تلك الشخصية المحورية التي تدور حولها معظم أحداث هذا البطل الذي يبدوا أنه يعيش اغترابا ذاتيا حادا لدرجة أنه فقد اسمه الحقيقي، لينتحل اسما أخر أخده من الرواية وهو اسم، **خالد بن طوبال** الذي

[1] : الرواية ،ص 18.

[2] : الرواية ،ص 34.

[3] : للتوسع ينظر: غسان السيد ، الاغتراب في أدب زكرياء تامر ، مجلة الموقف الأدبي العدد 333.

عرف به طوال الرواية «لا أدري كيف أوصلني التفكير إلى ذلك الكائن الحبري الذي انتحلت اسمه صحافيا لعدة سنوات»[1].

لقد فعل ذلك حفاظا عن نفسه من القتلة الذين يتربصون به، إنه خياره الوحيد الذي يجعل منه مغتربا عن ذاته من أجل أن يستمر في هذه الحياة، وفعل هذا بعد أن فقد كل معاني الراحة لدرجة أنه بات ينتظر فاجعة حتمية بعد كل فرحة. «اعتاد الحزن عندي أن يرافق كل فرحة، كما يصاحب فنجان القهوة كوب الماء »[2].

إنها الصدمات الكثيرة والمتوالية ما جعله يفقد الأمل، فمرة لأنه منفي ومبعد رغما عنه، للهروب من القتلة الذين يلاحقونه، وفي ذلك من العذاب ما يكفيه، « وكان في هذا عذاب لم أحسب له حسابا »[3].

ومرة أخرى لأنه فقد حبيبته، وما زاد ألمه أنه تجاوره ولا يستطيع الاقتراب منها وهذا ما شاءته الأقدار، « أنا الذي أختار ذلك المنفى لأحتمي من حبها أكثر من احتمائي من القتلة، وإذ الأمن العاطفي هو أول ما فقدت»[4].

إن هذا البطل محبط ويائس من الحياة ومشاكلها الكثيرة التي لا تنتهي، فالأمر الذي يزعزع توازنه النفسي ويجعل من علاقته الداخلية مضطربة التي تصل حد الانعزال التام والإحساس بالغربة اتجاه شهوات ومتع الحياة، « ها أنا أرتعد عاريا كجدع شجرة جرداء »[5].

« أنا قريب منها غريب عليها لن أرى شيئا ... فقدت القدرة على رؤيتها »[6].

إنها غربة حقيقية جعلته لا يستطيع بناء علاقة طبيعية مع العالم الخارجي، بل حتى مع ذاته «كنت أواظب على اشتهائها كل ليلة، وأستيقظ كل صباح وعلى سريري أثار أحلام مخصبة بها»[7].

**إعداد الطالبة: جهـاد.**

## 4- الغربة الدينية:

[1] : الرواية، ص 55.

[2] : الرواية، ص 135.

[3] : الرواية ،ص 70.

[4] : الرواية، ص 70.

[5] : الرواية، ص 94.

[6] : الرواية، ص 101.

[7] – الرواية، ص 133.

الإنسان يكون مغتربا دينيا يعني أن ينفصل عن الله أي عن الأوامر التي أمر بها، سواء بالفعل أو الترك.

وهنا ما يجب أن نشير إليه هو أن الإنسان ليس حرا تماما في أفعاله وتصرفاته لأنه وفي بعض الأحيان قد يفعل أشياء تحت سيطرة بعض الضغوطات سواء كانت نفسية أو مادية، إن قوة الإيمان الحقيقية تظهر وقت الأزمات، لقد احتوت الرواية نوعين من الشخصيات، النوع الأول وقع تحت الضغوطات وفي أخطاء وبمثابة المعاصي، والنوع الثاني هو الذي استطاع أن يحافظ على هويته الإسلامية والتي تسعى وبقدر الإمكان أن تلتزم بتعاليم دينها رغم كل شيء .

يمثل النوع الأول شخصية خالد الذي قاوم في البداية الدعوات المستمرة للوقوع في الخطأ حين قال في الرواية « كان يعجب من وقوفي طويلا في الشرفة ..... إلى الداخل لأشاطره كأسا وشيئا من الطرب، ولكوني ما كنت من مدمني الشرب، ولا من هواة الصخب كثيرا ما أزعجه اعتذاري »[1].

ولكنه ما لبث حتى انجرف إلى هاوية الأخطاء حيث دخل إليها من بابها الواسع وذلك باتخاذه قرار العيش لا تربطه بها أية روابط شرعية، فقط لأنه رأى فيها جسرا موصلا إلى زيان.

«غادرت الفندق الصغير الذي كنت أقيم فيه منذ ما يقارب الشهر، وأعددت حقيبتي لسفر مفاجئ نحو بيت كنت أظنه ليس موجودا إلا في كتاب » [2] «فرانسواز وضعتني، بكثير من الاحتفاء في الغرفة المجاورة لغرفتها موضحة أنها الغرفة التي كان يشغلها زيان كمرسم »[3].

توحي لنا التصرفات كهذه بأن هذا الشخص لا يعرف شيئا عن تعاليم دينه التي تمنع مثل هذه الأمور، وكيف لا يفعل فقد كانت له استعدادات لمثل هذا النوع من المعاصي حتى وهو ما زال مقيما في وطنه، وما بالك بعده انتقل إلى باريس فقد كان دوما يرى في وفاة أمه ظلما وتجاهل بأنه ليس أول ولا أخر واحد يحدث معه هذا، وفي ذلك كان يطلب من صاحب العرش العظيم والذي شعاره الأول العدل أن يفعل ذلك، إنها قمة المعاصي أن ترى في الأقدار ظلما وليس هذا فقط بل أن الأمر تطور معه فيما بعد حيث نجد أنه يفقد ثقته في قدرة الله عز وجل في أن يغير الأوضاع وأن يجعل من هذه الأزمة فرحا وسعادة فيما بعد، لأن دوام الحال من المحال، وسبحانه قادر على تغيير كل شيء بين عشية وضحاها، وفي ذلك طلب من زوجته أن تمتنع عن الإنجاب ضننا منه أنه سوف يحمي نسله

[1] : الرواية، ص 70.

[2] : الرواية، ص 82.

[3] : الرواية،ص 84.

منه، وأن الأمل شعار هذا الذين «أحاسيس لم أعرفها مع زوجتي التي كنت لسنوات أفرض عليها تناول حبوب منع الحمل، مهووسا بخوفي أن أغتال فتكدر في طفلي مأساتي فكرة أن اترك ابني يتيما، كانت تعذبني ».

وإضافة إلى خالد نجد مراد كذلك الذي بات رمزا للصخب وما يصاحبه من تنقل بين النساء واحدة تلوى الأخرى، وإدمان على الكحول « مراد الذي قاسمني غرفتي الأمنية بعض الوقت، قبل أن يتحول من محمي من السلطة إلى .... كان يعجب من وقوفي طويلا في الشرفة وينادين إلى الداخل لأشاطره كأسا وشيئا من الطرب »[1].

كما نجد أيضا زيان والذي رغم مرضه إلا أنه لم يرتدع ويستجيب إلى أوامر خالقه إنه غير مدرك أن فرصة مراجعة النفس، وتصحيح الأخطاء لا تكرر أبدا «كان يتصرف باستخفاف المفلس يدخن ويدرك أن في السجائر مضرة له ويطلب مني أن أحضر له قارورة ويسكي صغيرة من تلك التي تقدم في الطائرات لملء كأس واحدة »[2].

أما النوع الثاني فيمثله ناصر تلك الشخصية التي استطاعت أن تحافظ على هويتها رغم التشرد والنفي وما فيهما من أحزان وآلام «فقد بقي نقيا قدر الإمكان ..... مرتديا عباءة البيت بعده أن انتهى من أداء صلاة العشاء. بذا كأنه أكبر من عمره أحببت فيه طهارة تشع منه لا علاقة لها بعباءته البيضاء مازال نقيا، لم تستطع الغربة أن تجعله يتعفن ويتلوث ولا أصابته تشوهات المغتربين، كان معذبا بذنب وجوده خارج الجزائر »[3].

إنه مثال الإنسان صاحب الإرادة القوية والإيمان الأقوى، لأن الرجال أصحاب العقائد الحقيقية لا تجرؤا الأوضاع على تغييرهم، بل إنهم يزدادون إيمانا كلما أصابتهم مصيبة، وأكثر من ذلك أنهم يهربون من كل ما قد يصيب عقائدهم حتى ولو بشبهة.

ولكن هذه التصرفات التي صدرت لحظة غفلة لا تعني أن هناك انفصال تام عن أوامر الله لأنه لا يمكن لشخص أن يتخلى عن عقائد راسخة منذ صغره بشكل دائم فلابد أن يأتي يوما لإدراك الخطأ، وديننا له القدرة ما يكفي لاستيعاب كبائر الأخطاء وصغائرها كما تجدر الإشارة إلى بعض الشخصيات وزعم عصيانها تسعى لأن تلتزم ببعض الأوامر الإلهية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل

[1] : الرواية، ص 70.

[2] : الرواية، ص 170.

[3] : الرواية، ص 126.

على أن وقت الصحوة سيأتي حتما « فلتنا قضاته الغريبة يصر الجزائري حتى وهو يحتسي نبيذا ألا يتناول معه إلا اللحوم الحلال »[1].

### 5- الغربة السياسية:

أكثر الدول تجسيد الاغتراب السياسي هي الدول العربية ذلك أن لها القدرة الكافية على مصادرة الحريات، وجعل المواطنين عاجزين تماما على المشاركة الفعالة في الحياة السياسية إنهم يتعاملون معهم وكأنهم قطعان بشرية لاحق لهم حتى في التفكير مادام هناك من يفكر نيابة عنهم، وما عليهم إلا تنفيذ الأوامر من أجل اسم أكبر من أن يقيم ضيفا في ضواحي التاريخ، لأن أباه لم يورثه شيئا عدا اسمه، «ولأن البعض صنع من الوطن ملكا عقاريا لأولاده، وأدار البلاد، كما يريد مزرعة عائلية تربي في خرائبها القتلة، بينما يتشرد شرفاء الوطن في المنافي »[2] « إجلالا للأحلام القديمة غير المحققة، أحب التحدث عن الماضي بصيغة الجمع. في ماضي المغفلين الذي كان عيبا فيه أن تقول ((أنا)) نسيت إن يكون أنا أما اليوم، فبجسارة اللصوص، من الطبيعي أن يتحدث أي زعيم عصابة عن نفسه بصيغة الجمع »[3].

إنها مزرعة بشرية، ورغم كبرها لا يوجد مجالا للحرية حتى ولو بشكل بسيط، إن الحرية تعني الموت، وخاصة إذا تعلق الأمر بقول كلمة حق بشكل أناس اتخذوا من اللصوصية مهنة لهم، «ذات مرة غير وجهة سلاحه، وراح يطلق غضبه على ذلك الجنرال الذي كان يتقدم ... كل شيء في طريقه»[4] حتما إن من يتجرأ على المساس بشخصيته كهذه لن يحول بينه وبين الموت أي شيء « كاد مراد أن يفقد رأسه في ميتة ملفقة، ويتركه هناك غنيمة معركة لأحد الطرفين، وعبره من المثقفين، لولا أنه ما إن نجا من محاولة اغتيال حتى سارع بالهرب إلى أوروبا »[5].

وفي وضع كهذا لن نسأل أحد لماذا هو منفصل عن السلطة، ومغترب عنها ؟ ذلك أن الإجابة البديهية طبعا، فكيف يتصل الإنسان مع من يستبعده، ويكرس قهره، بل يفعل كل ما في وسعه

[1] : الرواية، ص 269.

[2] : الرواية، ص 118.

[3] : الرواية، ص 109.

[4] : الرواية، ص 67.

[5] : الرواية، ص 67.

ليبعده عن طريقه، ويجعله في غفلة تامة عن ما يحاك في غيابه، إنها أفعال أناس هم لهم سوى كرسي اعتلوه ذات يوم، وقرروا أن تتداول عليه العائلات ذات المقام العالي.

وفي ذلك سيغترب المواطن غصبا عنه، ولن يشعر بأدنى إحساس تجاه سلطة كهذه، لكن بوسعه أن يتحسر على زمن مضى ويشتاق إليه، إنه زمن ليس أكثر حرية ولكنه على الأقل لا يخفى مؤامرة ومكيدة ضد شعب هو مغلوب على أمره « يحدث أن أحن إلى جزائر السبعينيات، كنا في العشرين وكان العالم لا يتجاوز أفق حينا ولكننا كنا نعتقد أن العالم كله كان يحسدنا فقد كنا نصدر الثورة والأحلام، لأناس مازالوا منبهرين بشعب أعزل ركعت أمامه فرنسا »[1].

كيف لا يفعل ذلك في زمن جرد فيه كل إنسان من حرياته حتى من ظن أنه يحتمي تحت لواء السلطة، ولاسيما إذا كانت السلطة الأكثر حساسية. إنها سلطة الصحافة هي التي من المفروض أن تكون مرآة عاكسة للأوضاع بفضل تلك القوانين التي يزعمون أنها كفيلة لحماية حريتها وجعلها صوت لكل الشعوب، ولكن على العكس تماما لقد أصبحت الصحافة لا تستوعب حتى أصحابها، بل أكثر من ذلك لقد تحولت إلى سبب مباشر لتصفيتهم «فبعد موجة اغتيالات الصحافيين التي قطفت حياة سبعين صحافيا آنذاك خصصت الدولة تهديد الصحافيين فندقا في شاطئ سيدي فرج كمحمية أمنية تأوي ما بقي من سلالتهم المهددة بالانقراض» ومن بقي حيا فإنه مشرد في محميات وفرت لهم بعد كثير من التهديد «خصصت الدولة تحت تهديد الصحافيين فندقا في شاطئ سيدي أفرج كمحمية أمنية ...، في ذاك الفندق عاش البعض مشردا لأربع سنوات، ولم يغادره البعض الأخر إلا للمستشفى بعد إضراب جوع دام اثني عشر يوما احتجاجا على طلب إخلائه »[2].

نماذج بسيطة كهذه تجعل من فعل الاغتراب نحو السياسة أمرا ضروريا، بل إن الاغتراب أصبح بمثابة الحاجز الأمني الذي يقي كل من قرر أن يتناسى أنه له شيئا اسمه الحرية وأنه من حقه أن يصدر أصوات تعبر عن أرائه الشخصية.

وفي ذلك بات الإنسان يسعى إلى أن يغيب نفسه ضمن تلك الملايين فلا شيء له من الخصوصية « ثمة... في أن تكون لا أحد لا تتوفر لك إلا عندما يأتي حاكم يؤمم كل الأسماء، أو يأتي الموت ويبعثرك في كل شيء »[3].

[1] : الرواية،ص 43.

[2] : الرواية،ص69.

[3] : الرواية،ص 281.

## 6- غربة اللغة:

نعني بها الانفصال عن اللغة الأم، واللجوء إلى لغة بديلة أي أن الإنسان المغترب لغويا يختار إما مجبرا أو حرا بالابتعاد عن لغته الأصلية ويتعامل مع أخرى دخيلة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن اغتراب اللغة ليس دوما سلبيا، لأن الإنسان يحتاج إلى بعض الشيء من الاغتراب وخاصة بالنسبة للمبدعين والكتاب فمثلا نجد أن أدبيا يكتب بلغة فصحى ثم يلجأ إلى استعمال بعض المفردات الدارجة أو مفردات لغة أجنبية، وهو ما نجده في رويتنا هذه فمثلا عندما تتكلم الكاتبة عن شخص عادل فإنها تجعله يتكلم بلغة دارجة « واش الكلاب ما همش هنا اليوم ...» فهو يتكلم بحسرة ظنا منه أنه يسأل العسكريين عن القتلة ولكن مع الأسف كانوا هم القتلة.

كما نجد هذا الأمر عندما تتحامل مع شخصية أجنبية فرنسوار فإنها تتكلم بلسانها الأصلي فمرة لتذكرنا أنها أجنبية، ومرة لأن هذه الأخيرة لم تجد في اللهجة الجزائرية ما يعبر عما تريد، كما حدث ذلك عندما تحتاج الكاتبة إلى التذكير بأن بعض الشخصيات ورغم الغربة ما زالت تحافظ على شيء من مقوماتها اللغوية خاصة « أهلا توحشناك يا راجل ... وين راك غاطس » « وين تهرب ياللي وراك الموت ».

وفي الأخير نخلص إلى أن كل الاغترابات التي عاشها هذا البطل كان سببها المرأة التي يغفر لها أن تحب أشخاص غيره، إنه يغفر حتى لمن حاول انتزاعها منه بحبه لها، بل إنه اتخذه صديقا مقربا له، إنه حب فريد من نوعه حب الوطن الجزائر، لأن حياة في هذه الرواية ما كانت إلا الجزائر التي قرر العودة إليها رغم اغترباته الكثيرة وآلامه الأكثر، لأن هذا البطل ما زال لديه شيئا من الأمل فلولاه لما عاد لوطنه رغم أنه كان قادرا على البقاء بعيدا عنه، بل أكثر من ذلك لقد عمل كل ما في وسعه لينقل جثة صديقه إلى مسقط رأسه فما هان عليه أن يعيش مغتربا ويموت كذلك.

إنها الألفة والحميمية والدفء التي تجعل الإنسان يحن إلى موطنه الأصلي ليعود إليه في الأخير وفي دلك تقول الكاتبة سيرة قاسم « إن الإنسان –طبقا لحاجاته– ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها »[1].

[1] : الأخضر بركة، الريف في الشعر العربي الحديث – قراءة في شعرية المكان– دار الغرب للنشر والتوزيع ط 2002،ص 79.

فعلا لقد ذبل هذا البطل وتعذب في بعده واغترابه عن وطنه وذلك بسبب جراحه ومشاكله الكثيرة.

**إعداد الطالبة: حنــان.**

# بعض الملاحظات

إن معظم الذين غمسوا أقلامهم قي بحث مشكلة الاغتراب أشاروا إلى أن هذه الظاهرة هي سمة من سمات عصرنا وأنها تشكل بالفعل أزمة الإنسان المعاصر رغم وجودها كظاهرة واضحة في زمن ماض.

فمن خلال هذه الدراسة استطعنا التوصل إلى بعض الملاحظات التي بدت لنا بعد قراءات متعددة للرواية ومن أهم هذه الملاحظات ما يلي:

1. قوة التصوير لدى الكاتبة و قدرتها الكبيرة على تجسيد الأحداث ووصفها وأنت تقرأ،خاصة عندما تمر ببعض المشاهد تشعر وكأنك أمام شريط سينمائي ولست أمام مجموعة من الجمل تخبرك عن بعض الحوادث على سبيل المثال عندما تقرأ ذلك المقطع المتعلق بالطفل الصغير الذي فقد جميع أهله وبما أن الصدمة كانت اكبر منه فان الصمت الم به إلى درجة انه لم يبكي،وفضل الجلوس بجوار كلبه،وهو المظهر الذي أغرى خالد بتصويره «لقد أطبق الصمت على فمه،ولا لغة له إلا في نظرات عينيه الفارغتين...كان يجلس وهو يضم ركبتيه الصغيرتين إلى صدره...»

2. طول الجمل والعبارات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على كثرة وتدفق المعاني والأفكار التي تزدحم في دهن الكاتبة، مما جعل الجمل القصيرة و العبارات المقتضبة لا تستوعبها.

أنها عبارات كلها أحاسيس ومشاعر تحتاج إلى أن تخرج في شكل جمل وعبارات لا تحدها سطور.

3. نجد أن الكاتبة اعتمدت أحداثا عامة كمحور لرواياتها ،فهي أحداث يعرفها الجميع كحادثة **بن طلحة** مثلا،فالكل يعرف ملابساتها،بل لا أكثر مما قالت،والشأن نفسه بالنسبة لأحداث الحواجز المزيفة وعمليات القتل الجماعية والفردية التي كانت تخص كبار السياسيين على وجه الخصوص،كحادثة قتل محمد بوضياف مثلا.

صحيح أن الأديبة ليست مؤرخة لتعرض لنا الأحداث بشكل مفصل، ولكن هذا لا يعني أن تمر مرور الكرام دون إضافة أشياء جديدة إلى رصيد القارئ على صعيد الأحداث المذكورة في هذه الرواية. وهنا سؤال مهم يطرح نفسه: هل الكاتبة اعتمدت ذلك لتكون في خط متوازي مع القارئ العادي الذي لا يعرف إلا الخطوط العريضة للأحداث،أم أنها لم تكن تعرف إلا من يعرفه القارئ ولذا لم ترق إلى توقعات المتلقي الذي يصبوا إلى أن يعرف أشياء أكثر مما كان يعمل.

4. نجد إن الكاتبة في تعاملها مع بعض المواقف، ولاسيما إذا تعلق الأمر ببعض السياسيين لم تكن شجاعة بقدر يكفيها لان تتكلم عنها بطريقة واضحة.

في حين أنها فعلت ذلك مع بعض الشخصيات الأخرى التي قد تكون أقل سلطة بطريق واضحة جدا، وهنا يبقى السؤال مطروحا لماذا فعلت ذلك؟

5. كما نجد إن الكاتبة قد تورطت في معالجة بعض الأمور بشكل واضح وخاصة في علاقة الرجل بالمرأة وهو ما جسدته علاقة **خالد بحياة**.صحيح أنها أشياء من صميم الحياة (على حد قولها)،لكن هذا لا يعني التطرق لها بشكل فاضح لأنه أمر لا طائل منه.

فلا ننسى أن مثل هذه الأعمال الأدبية محل دراسات أكاديمية، وهنا يجد الدارس نفسه في مشكلة التعامل مع تلك المقاطع المحرجة بشكل أو بآخر،وهنا كان عليها أن تتطرق إلى هذا النوع من العلاقات بشيء من التحفظ.

6. إضافة إلى هذا نجد أن الكاتبة قد اعتمدت نوعا من الدعاية المباشرة من خلال هذه الرواية، وهي طريقة للفت انتباه القارئ إليها، وقد فعلت ذلك صراحة عندما كانت تذكر عناوين رواياتها السابقة (**ذاكرة الجسد**)و(**فوضى الحواس**)في حين لم تكن في الحاجة إلى ذلك لان العمل الجيد يفرض نفسه وليس بحاجة لتذكير القارئ به في كل مرة.

الجمعة في 2013/05/17 الساعة00 : 11 صباحا

**جهـــاد + حنـــان**

# الخاتمة

ومن خلال ما مر بنا في هذه الدراسة سواء في جانبها النظري أو التطبيقي وجدنا أنفسنا أمام نتائج مختلفة ولعل أهمها ما يتعلق بمصطلح الغربة الذي لاحظنا عليه كثير من الغموض والاضطراب بل انه لا يكاد يوجد اتفاق حول استخدام المصطلح فهناك من يستعمل الكلمة للدلالة على الجانب المادي فقط والذي يعني النزوح والابتعاد عن الموطن الأصلي إلى موطن آخر، وهناك من يستعملها للدلالة على الجانب الروحي وفي ذلك يستخدم كلمة اغتراب لا غربة.

أي أننا نجد مصطلحين الأول غربة للدلالة على الجانب المادي والثاني اغتراب للدلالة على الجانب الروحي،كما نجد أن هناك طرف ثالث يستعمل المصطلحين بنفس المعنى فيقول الغربة والاغتراب للدلالة على الجانبين دون تفرقة، وهو ما اعتمدناه في دراستنا هذه.

ولو حاولنا بشكل مبسط أن نبحث عن أسباب هذا الاضطراب والغموض الذي يكتنف المصطلح،لوجدنا أن ذلك يعود ربما إلى كثرة التعارف التي دارت حوله سواء عند العرب أو الغرب أو بسبب كثرة الأشكال والسياقات التي ينطوي تحتها، وبما أن علماء الغرب كانوا السباقين في معالجة هذه الظاهرة بشكل واضح، وفي ذلك انطلق كل صاحب تعريف من فلسفة يستند إليها، وقد يكون هناك سبب ثالث وهو وجودية الغربة بمظاهرة لازمت الإنسان منذ أن وطأت قدامه الأرض بعد أن فصل عن موطنه الأول، الفردوس حيث كان يحظى بالعناية الإلهية، ومع مرور الزمن زادت غربة الإنسان شيئا فشيئا، إلى أن تعقدت أكثر مع هذا العصر الذي يعتبر المسؤول عن اغتراب الإنسان بكل أشكاله، وهذا يعني أننا نتعامل مع مصطلح يلتصق بظاهرة موغلة في القدم، وهو ما جعل بعض الغموض والاضطراب يكون أحد لوازمها، لأنها ما مرت بمجتمع إلا وتعرض لها بالدراسة والتحليل سواء بشكل عميق أو مبسط وهي تحاليل خاضعة لفلسفات وإيديولوجيات مختلفة عن بعضها البعض.

ومنه نقول أن الغربة ظاهرة وجودية، تتميز بنوع من الغموض والاضطراب ولكنها ضرورية وخاصة لأصحاب القرائح المبدعة، لان شيئا منها بالنسبة لهم يمثل دافعا قويا يزيد إبداعاتهم تألقا وصدقا وهو الأمر الذي حدث مع أديبتنا أحلام، بالإضافة إلى غربتها المادية نجد أنها تعاني اغترابات أخرى قد

أصابتها وذلك في فترة كان الجميع فيها مغتربا، إنها فترة حاسمة عرفها الوطن، وفي ظل ذلك ولدت رواية (**عابر سرير**) التي كانت كلها اغتراب ومعاناة وأحزان.

وهذا التجسيد نجده واضحا في الرواية الجزائرية التي تتناول الاغتراب إما إشارة أو تفصيلا أي كموضوع خاص، وذلك من خلال تصوير أحلام لحياة الإنسان الجزائري المغترب، نتيجة أسباب تاريخية سياسية وجود المستعمر في الجزائر، وأسباب اجتماعية واقتصادية (الهجرة بحثا عن العمل)، وكذا معاناته في البلاد الغربية (فرنسا).

وكل هذه الأمور لمسناها في رواية "**عابر سرير**"للكاتبة الجزائرية **أحلام مستغانمي** من خلا تحليلينا العميق للأحداث وشخصيات الرواية وتفاعلنا معها. هذه الشخصيات التي عكست مختلف أشكال الاغتراب: النفسي، الاجتماعي، الاقتصادي والفكري.

وحسب رأيينا فقد وقفت الكاتبة إلى حد بعيد في معالجتها للموضوع، لاختيارها التقنية المناسبة لذلك، وربما أيضا لإحساسها بالاغتراب شخصيا.

ومن خلال كل هذا نقول بأن الرواية الجزائرية استطاعت أن تواكب الأحداث والوقائع التي مر بها المجتمع، وهو ما توصلنا إليه من خلال دراستنا لهذه الرواية لأنها كانت أكبر شاهد على ذلك،كيف لا وقد تطرقت إلى الحديث عن أكبر فترة حاسمة في تاريخ الجزائر دون أن يمر الكثير من الزمن.

هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، ونحن إن وصلنا إلى هذه النتيجة لا نزعم أن باب البحث قد سد في وجه الدارسين، فميدان البحث واسع والاجتهادات تتفاوت فيه، كل حسب مقدرته.

***"وما التوفيق إلا من عند الله "***

# قائمة المصادر و المراجع


**1. القرآن الكريم.**

2. إجلال محمد السري: الأمراض النفسية الاجتماعية، عالم الكتب القاهرة، ط1 2003.

3. أحلام مستغانمي:عابر سرير، بيروت لبنان، ط2 2003.

4. الأخضر بركة: الريف في الشعر العربي الحديث، قراءة في شعرية المكان، دار الغرب للنشر والتوزيع ط1 2002.

**5.** أشرف علي الدعدور: الغربة في الشعر الأندلسي، دار الأزهر الشرق القاهرة دط دت.

6. خير الله عصار: مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1984.

7. عبد الستار إبراهيم: أفاق جديدة دراسة الإبداع، سلسلة علم النفس للحياة، الناشر وكالة المطبوعات 27شارع فهد سالم، الكويت، دط دت، ص54.

**8.** عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، دط2003.

9. عزيز السيد الجاسم: الاغتراب في حياة و شعر الشريف الرضي دار الأندلس، ط1 1999.

10. عمر بوقرورة: الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث 1954/ 1962 منشورات جامعة باتنة، دط دت.

11. بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط1 1990.

12. كاميليا عبد الفتاح: دراسات تحليلية لظاهرة الاغتراب "أبو العلاء المعري"، دار المطبوعات الجامعية 2008.

13. مؤنس رشاد الدين: المرام مي الكلام و المعاني، دار الراتب الجامعية، ط1 2000.

14. محمد إبراهيم الفيومي: ابن باحة وفلسفة الاغتراب، دار الجيل بيروت، دط دت.

15. محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، دار ناشر دت دط.

16. محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ط1 1990.

17. محمد عباس يوسف:الاغتراب و الإبداع الفني،دار غريب للطباعة و النشر القاهرة دط 2004.

18. محمد فتوح أحمد: الرمز و الرمزية،دار الممعارف القاهرة ط3 1974

19. مفيد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر،دار الآفاق ،بيروت لبنان،ط1، 1981.

20. ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، ج1 دار لسان العرب، بيروت،دط،دت.

21. نازك الملائكة: ديوان عاشقة الليل، ج1، دار العودة بيروت لبنان،دط،دت .

## الرســـائل الجـــامعية:

22. جازيه كيران: الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية عوامله و نتائجه، رسالة دكتوراه الخلق الثالثة في علم الاجتماع الصناعي، 1988.

23. عبد اللطيف بكوشي: الثقافة التنظيمية و علاقتها بالاغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم المتوسط مذكرة ماجستير، 2007/2006.

24. عمر بوقرورة: الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي 1990/1960، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة، 1995/1994.

## -مواقع الإنترنت:

25. نجاح حلاس ،جريدة العروبة،حمص، 2011/02/15يوم2013/04/16 سا 17:00.

www.aww-dam.org/mokfadulbw/425/makf425-005htm.2013

26. صابر نور الدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، (مجلة الموقف الأدبي)

www.aww-dam.org/mokfadulbw/425/makf425-005htm.2013

# فهرس المحتويات


المحتوى الصفحة

الإهداءات

شكر وعرفان

**المقدمة** أ ـ ب

**المبحث التمهيدي"** مفهوم الغربة لغة و إصطلاحا .....1 - 8

المطلب الأول" الغربة في التناول اللغوي ..... 1- 2

المطلب الثاني" الغربة في التناول الإصطلاحي ..... 2- 8

**المبحث الأول"** الغربة نشأتها، أنواعها، نظرياتها و أبعادها .....9 - 26

المطلب الأول" نشأة الغربة .....10 - 12

المطلب الثاني" أنواع الغربة .....13 - 20

المطلب الثالث" نظريات الغربة .....21 - 23

المطلب الرابع" أبعاد الغربة .....24 - 26

**المبحث الثاني"** الغربة من خلال الرواية ( عابر سرير ).....27 - 39

1) الغربة الإجتماعية .....27 - 30

2) الغربة الإقتصادية .....30 - 32

3) الغربة النفسية ..... 32- 33
4) الغربة الدينية .....34 - 36
5) الغربة السياسية .....36 - 38
6) غربة اللغة.....38 - 39
الملاحظات .....40 - 41
الخاتمة .....42 - 43
قائمة المصادر و المراجع .